



مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

مؤتمر الأئمة الثامن عشر

شيكاغو – أمريكا

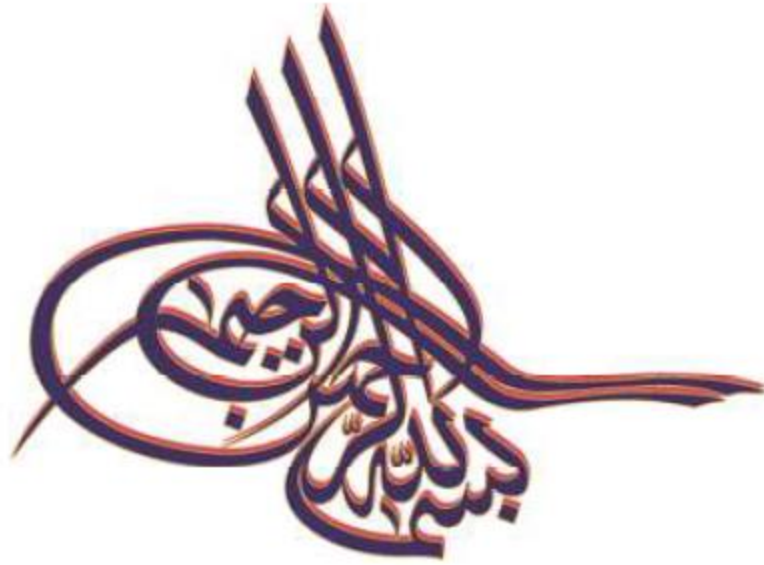
نوازل اجتماعية متعلقة بتكنولوجيا وسائل التواصل الحديثة

د. رحابي محمد رحابي

- مؤسس ورئيس قسم الدراسات العليا في الأداء القرآني بالجامعة الأمريكية المفتوحة.
- حاصل على إجازة القرآن الكريم بالسند المتصل من الشيخ محمد طه سكر، واعتماد وشهادة شيخ قراء الشام الشيخ كريم راجح. وقرأ رحابي أيضاً على الشيخ بكري الطرايشي والشيخ عبد الهادي الطباع رحمهما الله تعالى، وحاصل على الإجازة القرآنية من الشيخ محمد يونس الغلبان أعلى سند في العالم.
- دكتوراه في علوم السنة من كلية أصول الدين جامعة أم درمان الإسلامية بتقدير ممتاز.
- أستاذ جامعي في عدد من الجامعات ومشرف على رسائل ماجستير ودكتوراه.
- مدرّب ومطوّر مناهج الدراسات العربية والإسلامية في العديد من المراكز والمدارس الإسلامية في أمريكا.
- باحث ومؤلف عدد من الكتب والأبحاث المُحكَّمة، محاضر وخطيب في مساجد ومراكز عديدة في أمريكا.
- عضو ومؤسس اللجان التنظيمية والتحكيمية في مسابقات القرآن الكريم في سوريا والإمارات والولايات المتحدة الأمريكية.
- إمام وخطيب ومدير مدرسة الأنصار ISGH المؤسسة الإسلامية الكبرى في هيوستن بولاية تكساس الأمريكية.
- مؤسس ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة لون ستار الحكومية في هيوستن بولاية تكساس الأمريكية.
- عضو لجنة الفتوى في المؤسسة الإسلامية الكبرى في هيوستن بولاية تكساس الأمريكية منذ عام 2018، عضو سابق في المركز الرسمي للإفتاء في الإمارات العربية أبو ظبي منذ تأسيسه عام 2007 حتى عام 2014
- معتمد رسمي لدى الحكومة الأمريكية كواعظ وداعم روحي ونفسي لضباط الشرطة في مقاطعة مونتغمري بولاية تكساس الأمريكية.

"الآراء في هذا البحث تعبر عن رأي الباحث وليس بالضرورة عن رأي أمجا"

Opinions in this research are solely those of the author and do not represent AMJA.



فهرس المحتويات

1. مقدمة وتوطئة بين يدي البحث: 5
- 1.1 التعارف والتواصل الإنساني: 5
2. ما هي مواقع التواصل الاجتماعي: 6
- 2.1 الوسائل لغةً واصطلاحاً: 6
- 2.2 التواصل لغةً واصطلاحاً 6
- 2.3 مفهوم الاجتماعي 7
- 2.4 مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي 7
- 2.5 أنواع شبكات التواصل الاجتماعي 7
- 2.6 مميزات وسائل التواصل الاجتماعي 8
- 2.6.1 أعداد المستخدمين 9
- 2.7 تمهيد لا بد منه في فقه المصالح والمفاسد: 11
- 2.7.1 ولعل سائلاً يسأل ما ضابط تحديد المصلحة والمفسدة ومن الذي يحددها؟ 12
3. هل يجوز للرجل أو المرأة الإعجاب بمشاركة أجنبي عنهما من الجنس الآخر؟ 17
- 3.1 هل إرسال الأشكال الكرتونية المشهورة فيما يعرف بالموجي فيه إشكال أو ضوابط ينبغي مراعاتها؟ 19
- 3.1.1 ما هو الإيموجي؟ 19
4. هل يجوز للمرأة أن تكون صديقاً في العالم الافتراضي لشخص أجنبي عنها وتتابعه على وسائل التواصل؟ وهل يجوز للرجل مثل ذلك مع امرأة من غير محارمه؟ 20
- 4.1.1 ماذا يعني مصطلح الأصدقاء؟ 20
- 4.2 حكم المحادثة بين الرجال والنساء عبر مواقع التواصل الاجتماعي: 21

- 4.3 هل أحكام الخلوة تنطبق على وسائل التواصل الاجتماعي؟ 23
- 4.4 شأن المسلم استثمار الوقت فيما ينفع ولا يضيعه في مواقع التواصل الاجتماعي من غير فائدة: 26
- 4.5 التوسع في الصداقات والمتابعات على وسائل التواصل الاجتماعي: 26
- 4.5.1 وقوع الفتنة من خلال التعليقات والإعجابات: 27
5. ما حكم اختراق البريد الإلكتروني ونشر الخصوصيات؟ وماذا لو كان الاختراق لأسباب أمنية؟ 28
- 5.1 متى يجوز التجسس وما هي شروطه: 30
- 5.1.1 شروط التجسس الإلكتروني: 31
6. حكم مشاهدة مواد مسجلة فيها فضائح لآخرين ونشرها على وسائل التواصل؟ 31
- 6.1 حماية خصوصيات المريض 35
- 6.2 من صور الإفساد الإلكتروني تصوير المحادثات بطريقة "سكرين شوت" Screen Shot 35
- 6.2.1 تأثير تصوير المحادثات ونقلها 35
- 6.2.2 ما المطلوب من مستقبل المحادثات المصورة "لقطة الشاشة" Screen Shot 36
- 6.3 من هو المُفسد الأشد في وسائل التواصل الاجتماعي؟ 36
- 6.3.1 تصوير الآخرين صور أو فيديو أو تسجيلات صوتية بغير إذن: 36
- 6.4 نصيحة لأهل مواقع التواصل الاجتماعي: 37

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه، وبعد:

فهذه ورقات أُنشِرَ بكتابتها إلى مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا أنناول فيها الحديث عن موضوع: "نوازل اجتماعية متعلقة بتكنولوجيا وسائل التواصل الحديثة" أتحدث فيها عن الآداب العامة والأحكام الفقهية والدعوية لبعض نوازل التكنولوجيا، ويتضمن عدة مسائل ونقاط أعرض فيها بتوفيق الله تعالى ومعونته أقوال أهل العلم والاختصاص، وأجتهد في توضيح القواعد والأحكام والآداب العامة المتعلقة بها، وأرجو الله تعالى أن يعينني ويسدد قولي وعملي، وينفعني والقارئ الكريم بها في هذا البحث من خير ورشاد.

1. مقدمة وتوطئة بين يدي البحث:

1.1 التعارف والتواصل الإنساني:

دعا الإسلام إلى التواصل والتعارف بين الناس، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [سور الحجرات / 14]، فبيّن سبحانه أن التواصل والتعارف من مقاصد الخلق؛ خلقهم من أجل أن يتواصلوا ويتنافسوا في التقرب إليه. ولقد كانت سُبُل التواصل ووسائله في العصور القديمة محدودة، أمّا في أيامنا هذه فإننا نعيش في عصر التقدم التقني والتطور الشبكي والمعرفي؛ وأستطيع القول بأن العالم أصبح قرية صغيرة، وبإمكانك أن ترى أخباره في شاشة صغيرة متنقلة، وبإمكانك أن تتواصل مع أهل المشرق والمغرب من خلال المكالمات المرئية والمسموعة والاجتماعات المباشرة. إن هذه الوسائل نعمة عظيمة لمن استغلها الاستغلال المفيد واستعملها فيما ينفع واستثمرها استثماراً طيباً، ولا شك أنها سلاح ذو حدين، فلها جوانب إيجابية وأخرى سلبية، فيمكن أن تغدو نعمة أو تنقلب نقمة إذا أسيء استخدامها. ولا شك أن التقدم التكنولوجي يؤثر بشكل كبير على جوانب كثيرة من حياة إنسان هذا القرن، وكلما ازداد هذا التقدم كلما أثر في تغيير نمط حياة كثير من الناس، ومع اعتماد الناس المتزايد على الإنترنت، أصبح استخدام منصات التواصل الاجتماعي جزءاً أساسياً للتواصل اليومي واستقبال المعلومات لكثير من الأشخاص في هذا العالم، فكثير من الناس يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي كوسيلة للترفيه وتقضية الوقت، وربما لإضاعة الوقت، وآخرون يدركون أهمية

وقوة وسائل التواصل الاجتماعي فيستخدمونها بشكلها المناسب الفعال، الذي يعود بالخير والنفع والفائدة على المستخدم وعلى غيره.

2. ما هي مواقع التواصل الاجتماعي:

هي وسائل تواصل حديثة، يستطيع المستخدم أن ينشئ من خلالها حساباً يمكنه من التواصل عبر شبكة الإنترنت مع غيره من الأشخاص إلكترونياً؛ لمشاركة المعلومات والأفكار والآراء والرسائل وغيرها من المحتوى المكتوب والمرئي والصوتي والملفات الأخرى، ومن أمثلة هذه المنصات Facebook و Twitter و Snapchat و Instagram و WhatsApp و YouTube، ومنها كذلك ما يكون له جانب مهني مثل LinkedIn، وقد تدخل من ضمنها المدونات مثل WordPress و Blogger.

2.1 الوسائل لغةً واصطلاحاً:

الوسيلة لغةً: وسل فلان إلى ربه وسيلة أي عمل قربة، وتوسل بكتاب أو بقراءة، وهو واسل⁽¹⁾، ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرب به إليه، والواسل: الراغب إلى الله. وقال الجوهري: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوُسل والوسائل⁽²⁾.

والوسيلة في اصطلاح الأصوليين: هي الطرق المفضية إلى المقاصد⁽³⁾.

2.2 التواصل لغةً واصطلاحاً

التواصل لغةً: وصل إليه وصولاً أي بلغ، وأوصله غيره، والوصل: ضد الهجران، والتواصل: ضد التصادم⁽⁴⁾.
والتواصل في اصطلاح علم الاجتماع: هو عملية تبادل الأفكار والآراء والمعلومات والمشاعر عبر وسائط متنوعة لفظية وغير لفظية، كالكلام والكتابة والأصوات والصور والألوان والحركات والإيماءات، أو بوساطة أي رموز مفهومة لدى الطرف الثاني⁽⁵⁾.

(1) تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي مادة (س ل و) 375/2.

(2) لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، باب الواو، 724/11.

(3) الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي 42/2.

(4) الصحاح: الجوهري، مادة (و ص ل) 1842/5.

(5) مصطلح تواصل، الموسوعة الحرة على الشبكة: رابط التعريف: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

2.3 مفهومُ الاجتماعيّ

تشير كلمة "اجتماعي" إلى العالم حولنا وتفاعلات الناس وتعايشهم بمعنى أن الإنسان لا يمكن أن يعيش منعزلاً عن الآخرين، ويمكن أن يطلق أيضاً على الإنسان المنسجم المخالط لطبقات المجتمع مع المحافظة على فكره وقيمه ومعتقداته.⁽⁶⁾

2.4 مفهوم شبكات التواصل الاجتماعيّ

وسائل التواصل الاجتماعي: مقهى اجتماعي يجتمع فيه بعض الأفراد لتبادل المعلومات، وثمة فارق بين المقهى الحقيقي والافتراضي وهو أنك تستطيع الدخول إلى المقهى الافتراضي أينما كنت⁽⁷⁾ وعُرفت أيضاً بأنها: مجتمعات افتراضية عبر شبكات الإنترنت، تجمع مجموعة من الأفراد يحملون ذات الاهتمامات، يتبادلون الخبرات والمعلومات من خلال إطار برنامج محدد يشتركون جميعاً في استعماله⁽⁸⁾. فهي إذن وسائل تسمح لمستخدميها بالتواصل عبر الإنترنت.

2.5 أنواعُ شبكاتِ التواصل الاجتماعيّ

نتيجة لانتشار مواقع التواصل الاجتماعي وازدياد أنواعها يوماً بعد يوم يعسر حصرها جميعاً، ولكن ثمة مواقع تعد الأبرز في هذا المجال وهي:

- 1- فيس بوك: هو من الشبكات الاجتماعية التي تسمح بالحصول على صفحة لمن يرغب في التواصل الاجتماعي مع الأقارب والأصدقاء وغيرهم، ويساعد على تبادل المعلومات والصور الشخصية ومقاطع الفيديو⁽⁹⁾.
- 2- تويتر: أحد مواقع الشبكات الاجتماعية، أسسه جاك دوريس عام 2006م، ويقدم خدمة التدوين المصغر التي تسمح بإرسال تغريدات عن الحالة⁽¹⁰⁾. لعب دوراً كبيراً في الأحداث السياسية في عدة بلدان⁽¹¹⁾.

(6) الفرق بين مصطلحي (اجتماعي) و(مجتمعي)، د. أحمد إبراهيم خضر، بحث على شبكة الألوكة، تاريخ الاقتباس: 2020/5/12. رابط البحث: <https://www.alukah.net>.

(7) الإنترنت والمنظومة التكنولوجية، د. علي محمد رحومة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م، ص75.

(8) المقاهي الإلكترونية ودورها في التحول الثقافي دراسة إثنوبولوجية: جيهان حداد، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة، 2002م. ص10.

(9) أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على مهارات التواصل والشعور: محمد عبد المنعم، دار الرشيد لإسماعيل الطاهر. ص294.

(10) شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في العملية التعليمية: بشرى فيصل الحربي، رابط المقال: <http://community.tftoolkit.com>.

(11) أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على مهارات التواصل، د. محمد عبد المنعم، ص294.

5-تليجرام: هو أحد تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي التي تتيح للمستخدم إمكانية تبادل الرسائل والصور والفيديوهات بكل سهولة وبسرعة عالية، يتميز البرنامج باهتمامه بالناحية الأمنية للخصوصية، فهو من أكثر التطبيقات أمانًا في تبادل المعلومات، ويعزى السبب في ذلك إلى ميزة التشفير التي يقدمها التطبيق للمستخدم⁽¹³⁾

تتسم وسائل التواصل الاجتماعي بخصائص وميزات عديدة، منها⁽¹⁴⁾:

- وأضع هنا بين يدي القارئ الكريم بعض الحقائق والأرقام عن وسائل التواصل الاجتماعي والتي استفدتها من 3 مواقع رئيسية مهمة بالدراسات والإحصائيات العالمية⁽¹⁶⁾:

(status brew)، برودباند سیرش (broadband search)،

- أكثر من نصف سكان العالم حالياً، البالغ عددهم 7.87 مليارات نسمة، يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي.
- 4.80 مليارات شخص حول العالم يستخدمون الإنترنت حتى يوليو/تموز 2021، بزيادة 316 مليوناً (7.3%) عن عددهم بمثل هذا الوقت من العام الماضي، ويشكلون ما نسبته 60.9% من سكان العالم.
- 4.48 مليارات شخص يستخدمون وسائل التواصل (بحسب إحصائيات يوليو/تموز 2021)، ويشكل عدد مستخدمي وسائل التواصل حالياً نسبة 56.8% من سكان العالم.
- 520 مليون مستخدم جديد انضموا إلى استخدام وسائل التواصل في الـ 12 شهراً الأخيرة من يوليو/تموز 2012 تشير تلك الأرقام إلى أن أكثر من 9 من كل 10 مستخدمين للإنترنت يستخدمون الآن وسائل التواصل كل شهر.
- يملك الشخص العادي حسابات على أكثر من 9 شبكات تواصل مختلفة.
- يستخدم الشخص العادي أو يزور بنشاط ما متوسطه 6.6 منصات وسائط مختلفة كل شهر، ويقضي ما يقرب من ساعتين و30 دقيقة باستخدام وسائل التواصل يوميا.
- 91% من مستخدمي وسائل التواصل يصلون إليها عبر أجهزتهم الجواله.
- على فرض أن الناس ينامون ما بين 7 و8 ساعات يوميا، فإن الأرقام الأخيرة تشير إلى أنهم يمضون نحو 15% من حياة اليقظة يستخدمون وسائل التواصل.
- يمضي العالم أكثر من 10 مليارات ساعة يوميا يستخدم وسائل التواصل، وهذا يعادل نحو 1.2 مليون سنة من عمر الوجود البشري.

2.6.1 أعداد المستخدمين

أسرد هنا أعداد المستخدمين النشطين شهريا لأبرز مواقع التواصل وفق إحصائيات 18 يوليو/ تموز 2021:

- فيسبوك 2.85 مليار مستخدم نشط شهريا
- يوتيوب 2.29 مليار مستخدم نشط شهريا
- واتساب 2.00 مليار مستخدم نشط شهريا
- إنستغرام 1.38 مليار مستخدم نشط شهريا
- فيسبوك ماسنجر 1.30 مليار مستخدم نشط شهريا
- تيك توك 732 مليون مستخدم نشط شهريا
- تليغرام 550 مليون مستخدم نشط شهريا
- سناب شات 514 مليون مستخدم نشط شهريا
- باينترست 478 مليون مستخدم نشط شهريا
- تويتر 397 مليون مستخدم نشط شهريا
- وي تشات (البديل الصيني لواتساب) 1.24 مليار مستخدم نشط شهريا
- سينا ويبو (البديل الصيني لتويتر) 530 مليون مستخدم نشط شهريا
- كيو كيو (البديل الصيني لفيسبوك ماسنجر) 606 مليون مستخدم نشط شهريا

إحصائيات فيسبوك 2021

- بامتلاكه أكثر من 2.85 مليار مستخدم نشط، يظل فيسبوك أقوى وسائل التواصل الاجتماعي.
- فيسبوك ثالث أكثر المواقع زيارة، لا يتفوق عليه سوى غوغل ويوتيوب.
- ويعتبر ثاني أكثر التطبيقات تحميلاً من المستخدمين، ويأتي تطبيق فيسبوك ماسنجر في المرتبة السابعة.
- الهند أكثر دولة يستخدم سكانها فيسبوك، منهم 230 مليوناً شهريا.
- يمضي مستخدمو فيسبوك ما معدله 35 دقيقة على المنصة يوميا.
- في الشهر يقوم المستخدم العادي لفيسبوك بالإعجاب بـ 12 منشورا، ويعمل 4 تعليقات.

www.broadbandsearch.net/blog/social-media-facts-statistics

www.statusbrew.com/insights/social-media-statistics/

www.datareportal.com/reports/digital-2021-july-global-statshot

- ينقر المستخدم العادي لفيسبوك على 12 إعلانا شهريا.

إحصائيات يوتيوب 2021

- يشاهد المستخدمون أكثر من 500 مليار فيديو يوميا على يوتيوب، ويشكل ذلك أكثر من مليار ساعة من فيديوات يوتيوب يوميا.
- 400 ساعة من الفيديو يتم رفعها إلى يوتيوب كل دقيقة.
- 1.3 مليار شخص يستخدمون يوتيوب بشكل منتظم.
- يمضي مستخدمو يوتيوب نحو 40 دقيقة على المنصة يوميا.

إحصائيات إنستغرام 2021

- أكثر من 1.38 مليار شخص حاليا يستخدمون إنستغرام شهريا
 - يملك إنستغرام أكثر من 500 مليون مستخدم نشط يوميا
 - بالمعدل يتفاعل الناس مع صور إنستغرام بنسبة 23% أكثر من تفاعلهم مع صور فيسبوك.
 - 70% من مستخدمي إنستغرام يبحثون عن العلامات التجارية.
 - 130 مليون من مستخدمي إنستغرام ينقرون على منشورات تَسْؤَق شهريا.
 - يمضي مستخدمو إنستغرام نحو 30 دقيقة على المنصة يوميا.
- مستخدمو تيك توك الأكثر تفاعلا مع محتوياته بين باقي تطبيقات مواقع التواصل حيث يمضي المستخدم 52 دقيقة على المنصة يوميا.

إحصائيات تيك توك 2021

- يملك تيك توك أكثر من 732 مليون مستخدم نشط شهريا، صعودا من أقل من 30 مليونا قبل أقل من عامين.
 - يتم رفع نحو 13 مليون فيديو جديد إلى تيك توك يوميا.
 - موقع يوتيوب ثاني أكثر المواقع زيارة في العالم، ولا يتفوق عليه سوى غوغل.
 - 28.56% من مستخدمي تيك توك يفتحون التطبيق مرة واحدة يوميا على الأقل.
 - يمضي مستخدمو تيك توك 52 دقيقة على المنصة يوميا.
- * * شركة "تيك توك" أعلنت في 27 سبتمبر/ أيلول الماضي أن عدد مستخدمي التطبيق النشطين بلغ مليار شخص شهريا، ويعني ذلك أن واحدا من كل 7 أشخاص من سكان الكرة الأرضية يشاهد على نحو منتظم مقاطع فيديو قصيرة على هذا التطبيق.

إحصائيات تويتر 2021

- يملك تويتر 397 مليون مستخدم نشط شهريا
- أكثر من 500 مليون تغريدة يتم إرسالها يوميا عبر التطبيق
- 80% من مستخدمي تويتر من خارج الولايات المتحدة.
- 80% من مستخدمي تويتر من جيل الألفية الميسورين.
- يمضي مستخدمو تويتر نحو دقيقة واحدة على المنصة يوميا

وسائل التواصل مصدر الأخبار

في إحصائية عالمية كانت النسب التالية للذين يقولون إنهم يستخدمون وسائل التواصل لاكتشاف المحتوى الإخباري والوصول إليه:

- فيسبوك 44%
- يوتيوب 29%
- واتساب 23%
- إنستغرام 15%
- تويتر 13%
- فيسبوك ماسنجر 12%
- تليغرام 6%
- تيك توك 4%
- لينكدان 4%
- سناب شات 2%

2.7 تمهيد لا بد منه في فقه المصالح والمفاسد:

قبل الحديث عن نوازل التكنولوجيا وأحكامها وآدابها الشرعية، أرى أنه من المفيد أن أمهد بالحديث عن فقه الموازنات، وعن الترجيح بين المصالح والمفاسد عند التعارض والتزاحم، وربما أيضاً الترجيح بين المفاسد إذا اقتضى الأمر فعل شيء منها.

لا بد من كلمة على غاية من الأهمية وهي في فقه المصالح والمفاسد، لأن الشريعة الغراء مبنها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها ومن ثم كان على الدعاة مراعاة المصالح والمفاسد في الدعوة بما يحقق أعلا المصالح ويدراً أعظم المفاسد⁽¹⁷⁾.

وأعتقد والله أعلم أن لهذه القاعدة الشرعية أهمية كبيرة وخصوصاً في بلاد الغرب؛ لأنها تحفظ بإذن الله مسيرة الدعوة والداعية من المزالق، والمخاطر، والانحراف غلواً أو تقصيراً، وتضمن استمرار الدعوة وسلامتها. فينبغي أن تأخذ مكانها لدى الدعاة والوعاظ، لأن مراعاة فقه الموازنة بين الصالح والمفاسد من الأمور المهمة التي ينبغي لكل داعية أن يتعلمها ويمارسها خاصة في هذه الأيام، ولأن بعض الدعاة اليوم فيها بين إفراط وتفریط، فهناك من لم يأخذ بالمصالح الراجحة فابتعدوا بذلك عن النصوص الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهناك أناسٌ تساهلوا في اعتبار المصالح وتوسعوا في استعمالها على حساب النصوص الشرعية الواضحة فلم يراعوا (فقه الموازنة بين المصالح

(17) قال ابن القيم رحمه الله: (والشريعة مبنها وأساسها يقوم على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل). ينظر إعلام الموقعين 314/3

والمفاسد) وهناك فريقٌ توسع بين هذين الفريقين فعمل (بفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد) في ضوء نصوص الكتاب والسنة المطهرة، وراعى في ذلك الأصول والضوابط الشرعية واستفاد مما قدمه وفهمه العلماء المحققون.

2.7.1 ولعلّ سائلاً يسأل ما ضابط تحديد المصلحة والمفسدة ومن الذي يحددها؟

وهنا يجدر التنبيه إلى أن المراد بالمصالح والمفاسد ما كانت وفق الشرع لا ما كان ملائماً أو منافراً للطبع، ولا يكون تقريرها واعتمادها وفق أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية ودرء مفاسدها العادية⁽¹⁸⁾. فحريٌّ بالداعية إلى الله تعالى أو الفقيه قبل أن ينظر في تقدير المصالح والمفاسد ويقررهما ويرجح بينهما وقبل أن يقدم الفتوى أن يتمتع بتمام الصدق والإخلاص وتقوى الله تعالى، وأن يكون على بصيرة علمية نافذة، وأن يعرف الواقع معرفة واسعة حتى يتمكن من تحقيق مقصود الشريعة السمحاء، التي (جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما)⁽¹⁹⁾.

يقول العز بن عبد السلام: "ومعظم مصالح الدنيا ومفاسدها معروف بالعقل، وذلك معظم الشرائع؛ إذ لا يخفى على عاقل قبل ورود الشرع أن تحصيل المصالح المحضه، ودرء المفاسد المحضه، عن نفس الإنسان وعن غيره: محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها: محمود حسن، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها: محمود حسن، وأن تقديم المصالح الراجحة على المرجوحة: محمود حسن، وأن درء المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن"⁽²⁰⁾.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما، فقدّم أو كدّهما: لم يكن الآخر في هذه الحال واجباً أو لم يكن تاركه لأجل فعل الأوكّد: تارك واجب في الحقيقة، وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظميهما، إلا بفعل أدناهما: لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة أو إن سمي ذلك ترك واجب، وسمي هذا فعل محرّم، باعتبار الإطلاق: لم يضّر، ويُقال في مثل هذا ترك الواجب لعذر، وفعل المحرّم للمصلحة الراجحة أو للضرورة؛ أو لدفع ما هو أحرّم"⁽²¹⁾.

(18) ينظر الموافقات للشاطبي 63/2

(19) ينظر المرجع السابق.

(20) قواعد الأحكام في مصالح الأنام " (1 / 5):.

(21) مجموع الفتاوى " (20 / 57)

وجاء في "الفروق" للقرافي: "إِنَّ شَأْنَ الشَّرَائِعِ دَفْعُ أَعْظَمِ الْمُفْسَدَاتَيْنِ بِإِقْبَاعِ أَذْنَاهَا، وَتَقْوِيَةُ الْمُصْلَحَةِ الدُّنْيَا بِدَفْعِ الْمُفْسَدَةِ الْعُلْيَا"⁽²²⁾. وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: "مِنْ الْقَوَاعِدِ الْكَلِّيَّةِ: أَنَّ تَذَرَأَ أَعْظَمُ الْمُفْسَدَاتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَيْسَرِهِمَا"⁽²³⁾.

ويمكن تصنيف ضوابط الموازنة بين المصالح والمفاسد⁽²⁴⁾ إلى ما يلي:

الضابط الأول: الأكثر مصلحة أولى بالتقديم من الأقل مصلحة: فإذا تراجعت مصلحتان لزم المكلف الحفاظ على المصلحة الراجحة والتضحية بالمصلحة المرجوحة، فيما إذا عجز عن الجمع بينهما وصيانتهما معاً. وليس معنى هذا أن المصلحة المرجوحة التي أهدرت، لم تعد مصلحة، ولكن معناه أن المكلف لم يتمكن من الجمع بينهما وبين المصلحة الراجحة، فضحى بها مضطراً لأن الشرع والعقل يحكم بلزوم الحفاظ على المصلحة العليا، ولو أدى إلى تفويت الأدنى. والمصلحة المفوتة في هذه الحال لم تعد مطلوبة، لذا فإن تركها لأجل تحصيل المصلحة الراجحة لا يعتبر تركاً لمطلوب شرعي⁽²⁵⁾. ولذلك تتابعت أقوال العلماء على هذا الضابط⁽²⁶⁾: فقال العز بن عبد السلام: (إذا تعارضت المصلحتان وتعذر جمعها فإن علم رجحان إحداها قدمت)⁽²⁷⁾. وقال ابن القيم: (وقاعدة الشرع والقدر تحصيل أعلى المصلحتين وإن فات أدناها)⁽²⁸⁾.

(22) الفروق " للقرافي (3 / 22)

(23) ينظر المنثور في القواعد الفقهية (1 / 348):

(24) إن الدعاة إلى الله تعالى وهم يعيشون واقع الدعوة ويحملون همومها قد يرون في واقع الحياة العملي تصادماً بين حكمين شرعيين على نحو ربما يصعب معه المكلف عن الجمع بينهما، فيضطر إلى اختيار أحدهما وإعطائه الأولوية، وهذا التقديم كتقديم حكم على آخر لا يكون عشوائياً؛ بل يجب أن يكون وفق ضوابط، وهي بمثابة قوانين يستنير بها المكلف في ترجيح حكم على آخر ليخرج من الحرج الذي وقع فيه. وإذا استحضرتنا كثرة التراحات التي يقع فيها المسلم في عصرنا أدركنا أهمية الضوابط في حياتنا العملية والشرعية.

(25) ينظر فقه الأولويات ص 197 – 198

ومن النصوص الدالة على هذا الضابط: 1 - قال تعالى: {أَجْعَلْنِمَّ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَشْتَؤُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة/19] روى مسلم عن الثَّغْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: مَا أَبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَشْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أَبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا فُلْتُمْ فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِندَ مُثَبِّرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَتَرَلْتُ {أَجْعَلْنِمَّ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [التوبة/19] أخرجه مسلم، كتاب الإمامة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم (4871). ففي هذه الآية يبين الله تعالى أن أعمال الحج من العمارة والسقاية والرفادة والسدانة، لا تساوي الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله فالإيمان بالله والجهاد في سبيل إعلاء كلمته، أعظم درجة عند الله من أعمال الحج، وما عظم ثواب الإيمان والجهاد على ثواب الحج، إلا بسبب كثرة منافعهما، وهنا بيان لأن كل ما ذكر من الأعمال الصالحة إلا أن عند الموازنة بقدر الأكثر منفعة. وقد يكون هذا وقت وهذا وقت. وهكذا.

2 - قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفضيل الجهاد وتقديمه على التطوع بالنوافل في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن سلمان رضي الله عنه: (رَبَاظُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامٍ شَهْرٍ وَصِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَزَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْقَتْلَانِ) أخرجه مسلم، كتاب الإمامة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، رقم: (4938). وهذا التقديم الشرعي للعمل بناء على كثرة المنفعة فيه، يتمشى مع طبيعة الإنسان التي تميل إلى الأكثر منفعة.

(26) قال العز بن عبد السلام: (واعلم أن تقديم الأصلح فالصالح... مركوز في طبائع العباد... فلو خیرت الصبي الصغير بين اللذيذ والأذى لأختار الأذى، ولو خير بين الحسن والأحسن لأختار الأحسن، لا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المصرتين من تفاوت). ينظر: قواعد الأحكام: 7/1.

(27) ينظر: قواعد الأحكام 7/1. وقال بدران أبو العينين بدران في كتابه أصول الفقه ص 30: (التعارض بين المصالح يوجب الموازنة بينهما فإن ثبت أن إحداها أهم من الأخرى لزم إهدار المهم محافظة على الأهم)

(28) إعلام الموقعين 217/3. ومن الأمثلة التي ذكرها ابن القيم لهذا الضابط: أن السهر بعد العشاء ذريعة إلى تفويت قيام الليل، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسهر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره. ينظر: إعلام الموقعين: 191/3. وذكر أيضاً: تأخير الحد لمصلحة راجحة، إما من حاجة المسلمين إليه، أو من خوف ارتداده

الضابط الثاني: الأكثر مفسدة أولى بالدرء من الأقل مفسدة: فإذا تزامنت مفسدتان، ارتكب أخفهما بدفع أشدهما، وهذا الدرء للمفسدة الكبيرة باحتمال الصغيرة - كما يقول العز بن عبد السلام - طبيعة بشرية⁽²⁹⁾ لذا فقد اعتبر التشريع الإلهي هذه الطبيعة البشرية في كثير من أحكامه، والأدلة على ذلك عديدة⁽³⁰⁾.

وباستقراء هذه الأحكام وغيرها توصل علماء الشريعة إلى صياغة القاعدة التالية: (إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما) وتفيد هذه القاعدة القطعية أنه إذ اجتمعت مفسدتان دفعت العليا بالتزام الدنيا (لأن مباشرة الحرام لا تجوز إلا للضرورة، ولا ضرورة في حق الزيادة) بل (الضرر لا يزال بمثله)⁽³¹⁾ وما بالك بها فوقه، وإذا كان

ولحقه بالكفار، وتأخير الحد لعارض أمر وردت به الشريعة كما يؤخر عن الحامل والمرضع، وعن وقت الحر والبرد والمرض فهذا لمصلحة المحدود، فتأخيره لمصلحة الإسلام أولى. ينظر: إعلام الموقعين: 9/3. ومن الأمثلة في تطبيق هذه القاعدة في الدعوة إلى الله تعالى والله أعلم: 1- لو تزامنت وسيلتان أحدهما أكثر نفعاً من الأخرى كلمة وعظيمة لعدد قليل من الناس، أو درس علمي مستمر لا شك أنه يقدم الدرس، مع عدم إهمال الأخرى. 2- عند تزامن عملين لدى داعية من الدعاة كأن يواصل عمل في الإغاثة، أو يتركه لخطة وهو لا يجيدها، في تطبيق هذه القاعدة أن يواصل عمله الذي يجيده ولا يتركه لعمل آخر يقوم به غيره. 3- عند تعارض تربيته لأولاده مع وعظه العام وبخاصة إذا كان يتطلب سفرًا بعيداً عن أهله فتطبيق هذه القاعدة أنه يترك السفر ويجتهد في تربية أولاده.. وغير ذلك من الأمثلة الحياتية الكثيرة.

(29) ينظر قواعد الأحكام 7/1

(30) أ- قال تعالى في شأن القتال في الأشهر الحرم مبيناً أن القتال فيها أقل مفسدة من الصد عن سبيل الله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِيدَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِيدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيمْتِمْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة/227] فقد أنكر الكفار على المسلمين استباحة الأشهر الحرم والقتال فيها، فردّ الله عليهم قائلاً: نعم القتال فيها كبير الإثم والجرم، ولكن الاعتداء على المسلمين والإسلام بالصد عن سبيل الله وقتل المسلمين وفتنتهم في دينهم وإخراجهم من ديارهم، كل هذا وغيره أعظم مفسدة وأكبر جرماً عند الله من انتهاك حرمة الأشهر الحرم بالقتال فيها، وإذا كان كذلك فإن القتال فيها ضروري وواجب لدرء هذه المفاصد الكبيرة.

ب- وقال سبحانه حكاية عن الخضر مع موسى عليهما السلام: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ...}، إلى قوله: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنَّا وَفَعَلْنَاهُ عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلٌ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف/79 - 82] فدفع مفسدة غصب الملك السفن بمفسدة أخف، وهي خرق السفينة، واحتمل مفسدة قتل الولد ليدفع مفسدة إرهاب طغيان وكفر التي هي أعظم وأشد من قتله. ينظر قول العز بن عبد السلام في "قواعد الأحكام في مصالح الأناس" (2 / 58) وأما من السنة، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: (سَتَكُونُ أَمْزَاءٌ فَتَغْرُقُونَ وَتُنْكَرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءًا، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِيمًا، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَانَعَ) قالوا: أَفَلَا تُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، مَا ضَلُّوا) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، رقم (1854). قال ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث: (إن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأئمة إيجاب إنكار المنكر ليحصل إنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، لا يسوغ إنكاره، وإن الله يبغضه، وبمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد ما هو أكبر منه، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه، كما وجد سواء) ينظر إعلام الموقعين 6/3 - 7

ب- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ دُثُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا يُعِثُّكُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، رقم (220). فبول الأعرابي مفسدة لكنها أخف مما قد يصيبه من مرض بسبب قطع بوله، لهذا قال الإمام النووي معلقاً على هذا الحديث: (فيه دفع أعظم الضرر باحتمال أخفهما لقوله صلى الله عليه وسلم: (دعوه) لمصلحتين: إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله لتضرر وأصل التنجس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به. والثانية: أن التنجس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: 190/3 وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" (1 / 324): "لَمْ يُنْكَرِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّبَاةِ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ لِمَ تَهَيِّئُمُ الرُّغَاةَ، بَلْ أَمَرَهُمْ بِالْكَفِّ عَنْهُ لِلْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ، وَهُوَ دَفْعُ أَكْثَرِ الْمُفْسَدَاتَيْنِ بِأَخْفَى أَيْسَرِهِمَا، وَتَحْصِيلُ أَكْثَرِ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَرْكِ أَيْسَرِهِمَا" انتهى. وقال الإمام بدر الدين العيني في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (3 / 127): "فيه دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما، فإن البول فيه مفسدة، وقطعه على البائل مفسدة أعظم منها، فدفع أعظمهما بأيسر المفسدتين، وتنزيه المسجد عنه مصلحة وترك البائل إلى الفراغ مصلحة أعظم منها، فحصل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما" انتهى.

(31) مجلة الأحكام العدلية، مادة (25).

(الضرر يزال)⁽³²⁾ بما دونه، فإن هذا الدون من المفسدة المرتكب في هذه الحالة معفو عنه باعتباره حالة اضطرارية يرتفع معها الإثم⁽³³⁾.

الضابط الثالث: الجهة الغالبة أولى بالتقديم عند تزامن المصالح مع المفاسد: فكل مصلحة لا تخلو من مفسدة وكل مفسدة لا تخلو من مصلحة، فلا توجد مصلحة خالصة ولا مفسدة خالصة في أي فعل من الأفعال، لذا كان الحكم للجهة الراجحة، وعلى هذا الاعتبار تأسست الأحكام الشرعية لأنها تنظم حياة الناس في الدنيا، والدنيا لا يتمحض فيها الخير كما لا يتمحض فيها الشر⁽³⁴⁾. وقال السعدي⁽³⁵⁾: (إن الشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مفسدته ومضرته خالصة أو راجحة، ولا يشد من هذا الأصل الكبير شيء من أحكامه)⁽³⁶⁾.

(32) الأشباه والنظائر للسيوطي ص 83

(33) فقه الأولويات ص 214. قال ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى 57/20: (وإذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمها إلا بفعل أدناهما، لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة... حتى وإن سمي هذا الفعل محرماً... ويقال في مثل هذا... فعل محرّم للمصلحة الراجحة أو للضرورة أو لدفع ما هو حرام) بل ما ارتكبه من المفسدة يعتبر مصلحة من حيث إنها تدفع مفسدة أكبر ما كانت تدفع لولا ارتكاب المفسدة الصغرى. ومن الأمثلة التي ذكرها ابن القيم لهذا الضابط: أنك إذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب، أو سماع مكاء وتصديّة فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها، وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال، والسحرة فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع. ينظر: إعلام الموقعين 7/3.

(34) قال ابن تيمية: (جميع المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم، قد تحصل لصاحبه به منافع ومقاصد، لكن كانت مفاسدها راجحة على مصالحها نهي الله ورسوله عنها، كما أن كثيراً من الأمور كالعبادات والجهاد وإنفاق الأموال قد تكون مضرّة، لكن لما كانت مصلحته راجحة على مفسدته أمر به الشارع فهذا أصل يجب اعتباره) الفتاوى الكبرى 265/1.

(35) ينظر الرياض الناضرة والحدائق النيرة ص 230. إلا أن المفسدة التي قد تتخلل الأوامر الشرعية والمنفعة التي قد تتضمنها النواهي الشرعية غير مقصودة للشارع، وإنما يقصد الجهة الراجحة من المصلحة أو المفسدة. وجرباً مع هذا الميزان الشرعي الذي يراعي الجانب الأقوى فإنه إذا تزامنت المصالح مع المفاسد فإن الحكم للجهة الغالبة، إما للمصلحة وإما للمفسدة، فإن كانت المفسدة أكبر درأناها، وإن كانت المصلحة أكبر جلبناها. وفيما يلي بعض النصوص الشرعية لهذا الضابط:

1- قال تعالى في شأن الخمر والميسر: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعَافٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) [البقرة/219]، ففي الخمر والميسر منافع ومفاسد، إلا أن مفاسدهما أكبر، لذا كان تحريمها أولى، لأن المعول عليه في التحريم هو غلبة الضرر على النفع، وقد ذكروا أن منافع الخمر تتمثل في الربح التجاري وفي الالتئاذ بشريها، ومنافع الميسر تتمثل في أخذ أموال الغير بلا مقابل وبلا تعب، إلا أن هذه المنافع تقابلها أضرار كثيرة فيهما فرجحت كفة التحريم. ينظر تفسير ابن كثير 373/1.

2- وامتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن نقض بيت الله الحرام وإعادة بنائه على أساس إبراهيم عليه السلام، لأن المصلحة في إعادة بنائه عارضها مفسدة أكبر متمثلة في امتناع قبول بعض المسلمين ذلك لحدائثة عهدهم بالكفر. قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْلُكَ خَدِثْتُ عَنْهُمْ هَذَا) - قَالَ ابْنُ الرِّبِّيرِ - بِكَفَرٍ، لَتَقَطَّضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ). أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه (126) 109/7. قال ابن القيم رحمه الله: (لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام، عزم على تغيير البيت، وردّه على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك - مع قدرته عليه - خشية وقوع ما هو أعظم منه مع عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديدي عهد بكفر) ينظر: إعلام الموقعين 6/3-7. وفي هذا أيضاً دليل على تقديم أولى المصلحتين ودفع أكبر المفسدتين. وفي ذلك يقول النووي رحمه الله تعالى عند شرحه لهذا الحديث: "فيه دليلٌ لتفديم أهمّ المصالح عند تعدّد جميعها" انتهى من "شرح النووي على مسلم" (90/9) "وفي" شرح الزرقاني على الموطأ " (2/448): "وفيه ترك ما هو ضوَابٌ خَوْفٌ وفُوقٌ مَفْسَدَةٌ أَشَدُّ، وَاسْتِثْلَافُ النَّاسِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَاجْتِنَابُ وَلِجِّ الْأَمْرِ مَا يَتَسَارَعُ النَّاسُ إِلَى إِنْكَارِهِ، وَمَا يُخْشَى مِنْهُ تَوَلُّدُ الضَّرَرِ عَلَيْهِمْ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، وَتَأَلُّفُ قُلُوبِهِمْ بِمَا لَا يُتْرَكُ فِيهِ أَمْرٌ وَاجِبٌ، كَمَا سَاعَدَتْهُمْ عَلَى تَرْكِ الرِّكَاعَةِ وَشَبِّهِ ذَلِكَ، وَفِيهِ تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمُّ مِنْ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ، وَجَلِبِ الْمَصْلَحَةِ، وَأَنْهَمَا إِذَا تَعَارَضَا بُدِيَ رَفْعُ الْمَفْسَدَةِ".

3- كما امتنع صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين، فقد ابتلي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة بالمنافقين، ورغم أن كيدهم ومكرهم كان يفوق كيد ومكر الكفار فقد امتنع صلى الله عليه وسلم عن قتلهم لكي لا يقال إن محمداً يقتل أصحابه، ولأن قتلهم ذريعة إلى النفور من الإسلام، فهذه المفاسد أكبر من مصلحة قتلهم. (36) وباستقراء مثل هذه الأحكام فهم الفقهاء الحكماء المحققون أن مقصود الشارع عند تزامن المصالح مع المفاسد، إنما يتحقق بمرعاة الجانب الأغلب، قال العز بن عبد السلام رحمه الله: (تقديم المصالح الراجحة على المفاسد المرجوحة محمود وحسن، ودره المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن). ينظر: قواعد الأحكام 4/1. وقال ابن تيمية رحمه الله: (القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تراخمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها... فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته) ينظر الاستقامة 216/2. وقال الشاطبي: (فالمصالح والمفاسد الراجحة إلى الدنيا إنما تفهم على مقتضى

الضابط الرابع: جهة المفسدة أولى بالدرء عند تساوي المصالح مع المفسد: فإذا تساوت المصالح مع المفسد، فإن تمكنا من تحصيل المصلحة ودرء المفسدة في آن واحد فحسن، وإن لم تتمكن من الجمع بين التحصيل والدرء، قدمنا دفع المفسدة على جلب المصلحة ولو نجم عن ذلك حرمان من منافع عملاً بقاعدة: (درء المفسد مقدم على جلب المصالح)⁽³⁷⁾. وبناء على ما سبق فيجدر بالدعاة إلى الله تعالى التحلي بهذا الفقه العظيم فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد لأن ذلك يجعل الداعية يحصل في دعوته مصالح عظيمة، ويدفع مفسدات كثيرة. وهذا ما يتصل صلة وثيقة بموضوع المسائل التي أتناولها في هذه الورقات، وأعتقد والله أعلم أن من لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية، والمفسدة الشرعية، فقد يدع واجبات، ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع.

ولا شك أن غياب فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد عند بعض الدعاة وطلبة العلم، جعلهم يفعلون أموراً فيجلبون بها مفسدات، ويفوتون مصالح، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا؛ فكم من مصلحة فاتت، أو مفسدة أحدثت باسم الدعوة أو تحت ذريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو باسم الإنكار على أهل البدع، وغير ذلك، فلا بد من الحكمة في ذلك كله ومراعاة هذا الجانب⁽³⁸⁾.

ويبقى كلمة أخيرة وهي أن الذي يقدر المصالح والمفاسد، أو يغلب أحدهما على الآخر هم أهل الفقه والنظر والعلم والدراية والخبرة بعد أن يستعينوا بأهل الاختصاص إذا كانت القضية أو المسألة تحتاج إلى أخصائيين.

ما غلب، فإذا كان الغالب جهة المصلحة فهي المصلحة المفهومة عرفاً، وإذا غلبت الجهة الأخرى فهي المفسدة المفهومة عرفاً) الموافقات 26/2. ومن خلال هذه الأدلة وتلك الأقوال يتضح للقارئ الكريم ثبوت هذا الضابط، وهو ضابط مهم خصوصاً في عصرنا الذي يندر فيه أن تجد مصلحة دون أن تترافقها مفسدة، نظراً لغلبة الهوى وامتناع كثير من الناس عن الاستضاءة بنور الوحي، فيجد المسلم نفسه في مواقف كثيرة محرراً، تتجاذبه جهتان متناقضتان: جهة الدين الذي يحرم عليه كذا وجهة الدنيا التي تقعسه عن هذا الواجب، بل إن التزاحم بين المصالح والمفاسد قد يكون داخل الجهة الواحدة بأن تتزاحم مصلحة دينية مع مفسدة دينية أو مصلحة دنيوية مع مفسدة دنيوية، إلا أن تزاحم ما هو دنيوي مع ما هو أخروي هو الذي يقلق الناس المتدينين كثيراً لخوفهم من ارتكاب المحظور الشرعي، لذا فإن امتلاك موازين الترجيح في المواقف التي يتزاحم فيها الصلاح بالفساد أمر مهم بالنسبة للمسلم وخاصة الدعاة، وإلا بقي دائماً محتاراً لا يدري ماذا يقدم وماذا يؤخر. وهذه الموازين هي نفسها موازين الترجيح بين المصالح المتفاوتة أو بين المفاسد المتفاوتة.

(37) ينظر: الأشباه والنظائر لابن السبكي (105/1) وللسيوطي ص97، ولابن نجيم ص90.

ومن الأمثلة التي ذكرها العلماء لهذه القاعدة: أ- دفع الموت عن النفس بموت الغير، كأن يهدد شخص بالقتل إن لم يقتل غيره، فهنا تساوت مصلحة الحفاظ على النفس مع مفسدة إزهاق نفس الغير، لكن بما أن القتل مجمع على تحريمه، والصبر مطلوب في حق من أكره على ذلك، فإن درء قتل الغير مقدم على درء قتل النفس. قواعد الأحكام 83-79/1. ب- إذا كان تصرف الجار في ملكه يؤدي إلى إيذاء جيرانه كاتخاذ فرن يؤذيهم بدخانهم أو معصرة يؤذيهم برائحتها أو مطحنة تؤذي بضجيجها، منع من ذلك، لأن في هذه الأعمال مصالح حاجية لنفسه، ولكنها تؤدي إلى مفسدات مخلة بحاجات جاره، والمفاسد إذا تزاومت مع المصالح وكانت في درجة واحدة درئت المفاسد.

(38) ولعلي أخلص إلى بعض السلبات الناتجة عن الإخلال بهذه القاعدة: 1 - تفويت مصالح عظيمة ومن أعظمها عدم وصول الإسلام الحق إلى الناس بصورته الحقيقية المشرقة. 2- تمبيع الدين والتساهل فيه وتتبع الرخص وهذا ظاهر فبين غلب المصالح الجزئية على ما هو أكبر، ولم يتحمل مخالفة الناس عند رؤيته لغلبة الفسق وأصحابه. 4- عدم الوصول إلى النتائج الإيجابية المثمرة المرجوة لاختلاط المفاهيم وتضارب الأعمال، وتناقض المناهج، وذلك لغلبة النظرة الأولية في تقدير المصالح والمفاسد. 5 - اختلال المفاهيم الشرعية لأن النظرة لم تكن مبنية على الفهم السليم للنصوص الشرعية والقواعد العلمية. 6- وضع الأدلة الشرعية في غير موضعها الصحيح ولئلا أعناقها، وإغفال بعضها وبخاصة ما لم يوافق ما يريده المستدل، وهذا ظاهر عن تأمل في بعض المناهج الدعوية عند اتخاذ موقف أو نازلة من النوازل. 7- تأخر الدعوة - بمفاهيمها الشمولية وأفرادها- ورجوعها إلى الوراء نتيجة قيامها على عدم التوازن في المصلحة والمفسدة. 8 - خروج قيادات دعوية، ومفتين غير مؤهلين وذلك لعدم فقههم التطبيقي لهذه القاعدة فربما وللأسف يضلون ويضلون.

3. هل يجوز للرجل أو المرأة الإعجاب بمشاركة أجنبي عنهما من

الجنس الآخر؟

إذا وضع المرء منشوراً على مواقع التواصل الاجتماعي مضمونه حسن مباح؛ فلا حرج في الثناء عليه، وإبداء الإعجاب به، وإعجاب الرجل أو المرأة بمشاركة أجنبي عنهما من الجنس الآخر على هذه المواقع إما أن يكون بضغطة زر الإعجاب، أو بكتابة تعليق في مكان الملاحظات والتعليقات، فهذا يدخل في باب الكلام بين الرجل والمرأة الأجنبية.

أما عن ضغط زر الإعجاب فهذا لا حرج فيه ما دام المنشور مستحباً أو مباحاً، فيه خيرٌ وفائدة، سواء كان دينياً دعوياً أو تعليمياً تربوياً، أو علمياً ثقافياً أو فيه فوائد أخرى فلا حرج في الإعجاب بذلك، بل ربما يكون ذلك حسناً، ولعل الله تعالى يثيب على ذلك، لأن التفاعل والإعجاب أو التعليق يساعد على وصول المنشور لعدد أكبر من الناس، وبذلك يكون المعلق قد ساعد في نشر ما كتب من خير وفائدة، ومثله كمثّل الذي يوزع كتيبات أو منشورات مطبوعة على الناس ليستفيدوا، ولكن الأمر هنا توزيع ونشر إلكتروني وليس ورقي! وليتنبه إلى عدم الذهاب في الإعجاب أكثر من ذلك، بحيث لا يضغط على أزرار فيها رسومات القلوب والحب وغير ذلك، فهذا لا يجوز؛ لأن فيه إيجاءات ورسائل غير مكتوبة ولكنها مفهومة بلغة هذه الرموز والأشكال ولعلها لا تكون جائزة بين الرجل والمرأة، وربما تكون باعثاً للفتنة.

أما عن الكتابة والتعليق فهذا يدعونا إلى معرفة حكم الكلام بين الرجال والنساء غير المحارم:

أولاً: الكلام بين الرجل والمرأة الأجنبية، ليس ممنوعاً في الشرع على إطلاقه، ولكن الممنوع منه ما يؤدي إلى الفتنة، كالخضوع بالقول، وهو الليونة والميوعة في الكلام، قال تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتَقَيَّنَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب/ 32]، جاء في تفسير ابن عطية رحمه الله: ثم نهاهن الله تعالى عما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكاملة الرجال برخيم القول، و {لا تخضعن} معناه ولا تلتن، وقد يكون الخضوع في القول في نفس الألفاظ ورخامتها، وإن لم يكن المعنى مريباً. وفي تفسير ابن كثير رحمه الله: قَالَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ: يَعْنِي بِذَلِكَ: تَرْفِيقَ الْكَلَامِ إِذَا خَاطَبَ الرَّجُلَ..... وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّهَا تُخَاطَبُ الْأَجَانِبَ بِكَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ تَرْخِيمٌ، أَي: لَا تُخَاطَبُ الْمَرْأَةُ الْأَجَانِبَ كَمَا تُخَاطَبُ رَوْجَهَا.

فإذا كانت الفتنة مأمونة، والريبة منتفية، فالكلام جائز ولو تضمن مباحة، لكن هذا إنما يتصور إذا كانت المرأة عجوزاً لا تشتهي، أما الشابة، فالكلام معها بلا حاجة -فضلاً عن مباحاتها- هو في ذاته باب فتنة، وذريعة فساد. قال العلامة الخادمي رحمه الله في كتابه: بريقة محمودية (وهو حنفي): التكلم مع الشابة الأجنبية لا يجوز، بلا حاجة؛ لأنه مظنة الفتنة، وقد ذكر البخاري في صحيحه: باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال. قال ابن حجر: والمراد بجوازه، أن يكون عند أمن الفتنة⁽³⁹⁾.

وليس الأمر مختصاً بالكلام المباشر، ولكن المنهي عنه كل قول أو فعل يؤدي إلى الفتنة، ويحرك الغرائز، قال تعالى: {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} [النور/ 31]⁽⁴⁰⁾

الخلاصة: لا حرج للرجل أو المرأة الإعجاب بمشاركة أجنبي عنهما من الجنس الآخر ما دام الإعجاب على أمر مستحب أو مباح، وهذا من باب التفاعل الذي يعني وصول المنشور إلى عدد أكبر من الناس ويدخل في باب التعاون على البر والتقوى.

(39) فتح الباري لابن حجر
(40) بريقة محمودية في شرح طريقة محمديّة ١٥٧٧ / ٤، وحاشية ابن عابدين ١ / ٢٧٢، ٥ / ٢٣٣، والفواكه الدواني ٢ / ٢٢٤، وشرح الزرقاني ٣ / ١١٠، وروضة الطالبين ١٠ / ٢٢٩، والمغني ٦ / ٥٥٨ - ٥٦٠. وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله: ..وهذا يقتضي النهي عن كل ما من شأنه أن يُذكر الرجل بلهو النساء، ويثير منه إليهن من كل ما يُرى أو يسمع من زينة، أو حركة كالتثني والغناء.. "التحرير والتنوير.

3.1 هل إرسال الأشكال الكرتونية المشهورة فيما يعرف بالموجي فيه إشكال أو

ضوابط ينبغي مراعاتها؟

3.1.1 ما هو الإيموجي؟

الإيموجي هو مُصطلح ياباني الأصل يعني الصور الرمزية أو الوجوه الضاحكة، وهو مُصطلح مكون من شقين أولها "E" والذي يعني الصورة، والآخر هو "moji" والذي يعني الحرف أو الرمز، ويُستخدم مُصطلح الإيموجي في مواقع التواصل الاجتماعي للدلالة على بعض الرموز التعبيرية المُستخدمة فيها، ويُساعد على توصيل الأفكار الرمزية ويُعبر عن المشاعر من خلال بعض الرموز والأشكال والتعبير⁽⁴¹⁾. يغلب على شكلها الرمزية وليس فيها غالباً تصوير للهيئة أو الشكل، بل هي رسومات تُستخدم فقط بهدف الإشارة إلى رمز أو تعبير⁽⁴²⁾

لا تخلو الرسائل عبر الواتساب وغيره من تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي من بعض الوجوه التعبيرية «إيموجيز أو موجي» للمساعدة في التعبير عن الكلام بطريقة أخرى غير الكلمات وحدها كإرسال وجه يبكي أو يضحك أو عابس أو إرسال وردة أو غيرها، ولا يُعد الإيموجي المُستخدم في مواقع التواصل الاجتماعي من التصاوير المُحرمة، ولا حرج في استخدامه؛ لأنَّ الإيموجي تعبير رمزي يخلو من المعالم، وهو يُستخدم بشكل رمزي، فهي تعدّ من الصور التعبيرية التي يقصد بها إيصال شعور المخاطب وتقوم مقام الألفاظ والجمل، وجاز تداولها ما دامت لا توحى بشيء محرم، أو لا يخلّ بأداب الحوار والتواصل.

والذي أنصح به هنا أنَّ على المسلم والمسلمة أن يكون عندهم مزيداً من الحرص والفطنة عند استخدام وإرسال مثل هذه الرموز التعبيرية، منعاً لأي فتنة أو سوء فهم من الطرف الآخر المرسل إليه لما توحى بعض هذه الرموز أحياناً من التعبير عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية التي ربما يكون من اللائق عدم إرسالها، وليقتصر الأمر على ما يلزم ولا يحتمل معانٍ أخرى.

(41) wikiwand.com إيموجي

(42) islamqa.info استعمال الأيقونات والصور التعبيرية في الإنترنت

والخلاصة: الصور والرموز التعبيرية (الإيموجي) التي تستعمل في مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات؛ كوجه ضاحك أو حزين أو مبتسم أو عابس لا تأخذ حكم الصور ولا حرج في استعمالها ما دامت ضمن الضوابط الشرعية وآداب الحوار والتوصل.

4. هل يجوز للمرأة أن تكون صديقاً في العالم الافتراضي لشخص أجنبي عنها وتتابعه على وسائل التواصل؟ وهل يجوز للرجل مثل ذلك مع امرأة من غير محارمه؟

4.1.1 ماذا يعني مصطلح الأصدقاء؟

مصطلح الأصدقاء في مواقع التواصل الاجتماعي فيه توسع في المعنى عن أصل وضعه اللغوي، أو العرف العام له بين الناس، فيراد بالأصدقاء في العرف الخاص بمواقع التواصل: الأشخاص الذين يتابعون منشورات الشخص، وصفحته، بغض النظر عن حقيقة العلاقة بينهما، بل بغض النظر عن مجرد المعرفة الشخصية بين المشتركين. وبناء على ذلك؛ فإن كثيراً من أهل العلم رأوا أنه لا بأس من متابعة المرأة المسلمة لصفحة رجل أجنبي عنها، ترى فيها ما يفيدها، أو تكون (صديقة له على صفحته)، بشرط أن يكون محتوى صفحتها أو صفحتهم نافعاً مفيداً، وأن لا يكون في صفحتها نشر صور لها أو لغيرها، أو أن ينشر أحد المتصادقين على صفحته ما هو ذريعة للفساد، ومرض القلوب، فإن كان ذلك الصديق على مواقع التواصل الاجتماعي أحد المشاهير وكان سبب شهرته علم نافع، أو تخصص مفيد في مجال من مجالات الحياة فلا حرج في متابعته، بل إن متابعته على وسائل التواصل الاجتماعي فيها خير ونفع، كمتابعة صفحات الموثوقين من الدعاة والعلماء والمفتين، أما من كان من أولئك المشاهير شهرته بسبب محرم، كالخلاعة، والغناء المحرم، والفن الهابط؛ فلا تجوز متابعتهم، ولا الإعجاب بصفحاتهم؛ لما في ذلك من رؤية منكراهم، وتكثير متابعيهم، والدعاية لهم، بالإضافة إلى أن متابعتهم أماراً أيضاً على محبتهم، والإعجاب بما ينشرون من هو ولغو وربما إثم، وهم في الحقيقة يستحقون بغض في الله تعالى، فعلى المرأة المسلمة أن تتقي الله تعالى ولا تتابع أهل الشر والفساد ففي متابعتهم تعرض للفتنة وتشجيع للفساد.

4.2 حكم المحادثة بين الرجال والنساء عبر مواقع التواصل

الاجتماعي:

الإسلام يدعو إلى الأخذ بأساليب الحضارة في كل زمان ومكان ما دام ذلك في خدمة الإنسان الذي هو محور الحضارات ومركزها الأصيل، بل ما خلق الله في الكون شيئاً إلا لمصلحة الإنسان الذي كرمه في الشرائع كلها، فقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} [الجن: 13].

حكم الشرع في الوسائل ذات الوجهين في الاستعمال لا يتعلق بتلك الوسائل، وإنما يناط بمن يستعملها، وهو الإنسان؛ إذ هو المكلف أمام الله عز وجل، ومثال ذلك السكين الذي يفيد في قطع الأشياء النافعة للإنسان فيباح، وقد يستعمل في القتل والجرح فيحرم استعمالها، وبناء على ذلك فقد ذكر كثير من أهل العلم أن المحادثة بين الذكور والإناث الأصل فيها الإباحة كسائر العلاقات السوية بين البشر، والقاعدة الفقهية تقول: «الأصل في الأشياء الإباحة»، وأن التحريم قد يعرض للشيء المباح ليس في ذاته، بل لما يكتنفه من أمور خارجية تغير الحكم فيه من الإباحة إلى الكراهة أو التحريم.

وذهب بعض العلماء إلى القول بأن المحادثة بين الرجال والنساء عبر مواقع التواصل الاجتماعي تكون مكروهة إذا كانت المحادثة ليس لها أي داعٍ، وتكون محرمة إذا كان الكلام عن أشياء محرمة خارجة عن الأخلاق الحميدة، وتكون واجبة إذا كانت لتبادل منفعة ضرورية كالتعليم والتعلم، وقالوا أيضاً بأن المحادثة تكون مباحة ومستحسنة إذا كانت للتعرف السليم قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} [النحل: 23] إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات: 13]

وأكد بعض أهل العلم أيضاً بأن المحادثة قد تكون واجبة إذا ترتب على فواتها ضرر على حياة أحد المتحدثين، كما هو الحال بين المريض والطبيب مثلاً، وقد تكون مستحبة إذا كانت في تحصيل مصلحة نافعة، كتسهيل قضاء حوائج الناس، أو دلالة على خيرٍ ومعروف.

وقاعدة (سد الذرائع) أصل عظيم من أصول التشريع، وأدلتها وافرّة في الكتاب والسنة، هذا الأصل العظيم الذي يبني عليه علماءنا مثل هذه الأحكام، المتعلقة بالوسائل والأسباب المفضية للحرام، فكل سبب يُفضي للوقوع فيما حرم الله تبارك وتعالى، فالواجب اجتنابه، لأن الوسائل لها أحكام الغايات؛ ولذلك كان من مقاصد الشريعة سد الذرائع التي قد

توصل إلى الحرام، والكلام مع امرأة شابة ومراسلتها، وإنشاء علاقة معها من أعظم الوسائل التي قد تجر إلى الوقوع في الحرام، وإن زين الشيطان ذلك في أول الأمر وأظهره على أنه علاقة بريئة من كل ما يدعو إلى الحرام. وقد نص الفقهاء رحمهم الله على المنع من التكلم مع المرأة الشابة خشية الفتنة، فقال العلامة الخادمي رحمه الله في كتابه: بريقة محمودية وهو حنفي قال: التكلم مع الشابة الأجنبية لا يجوز بلا حاجة لأنه مظنة الفتنة. وقال صاحب كشف القناع من الحنابلة: وإن سلم الرجل عليها -أي على الشابة- لم ترده دفعاً للمفسدة، ونص فقهاء الشافعية على حرمة ابتداء الشابة الرجل الأجنبي بالسلام، وكذا ردها عليه، وكرهوا ابتداء الرجل لها بالسلام، وعللوا التفريق بينها وبينه أن ردها عليه أو ابتداءها له مطمع له فيها.⁽⁴³⁾

ومن المعلوم عظم الفتنة بين الرجال والنساء، وقد نبّه الشرع على ذلك، ففي الحديث المتفق عليه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما تركت بعدي فتنة أضّر على الرجال من النساء).⁽⁴⁴⁾ في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)⁽⁴⁵⁾ فالعاقل لا يفتح باباً للشيطان على نفسه، ولا يكون عوناً له على إغوائها؛ لكونه يعلم أنه عدوه، وأنه حريص على إغوائه، وأن الله عز وجل حذر من شره، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور/ 21]

ومحادثة الرجل للمرأة الأجنبية جائزة عند الحاجة، بشرط أمن الفتنة، ومراعاة الضوابط الشرعية، كعدم خضوع المرأة بالقول، أو الملاطفة في الكلام، ونحو ذلك، مما يقود للفتنة، ودليل الجواز الكتاب والسنة، وسيرة الصحابة الأئمة، فمن الكتاب، قصة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها التي جاءت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي أنزل الله عز

(43) ينظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية ٤ / ١٥٧٧، وحاشية ابن عابدين ١ / ٢٧٢، ٥ / ٢٣٣، والفواكه الدواني ٢ / ٢٢٤، وشرح الزرقاني ٣ / ١١٠، وروضة الطالبين ١٠ / ٢٢٩، والمغني ٦ / ٥٥٨ - ٥٦٠.

(44) رواه البخاري كتاب النكاح رقم 5096، ومسلم، كتاب الرقائق رقم 2740.

(45) رواه مسلم، كتاب المقدمات رقم 458.

وجل في شأنها قوله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة/ 1]

ومن السنة حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁶⁾.

ومن واقع الصحابة ما جاء عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها، توفي عنها وهي حبلى فخطبها أبو السنابل بن بَعَكْكِ، فأبت أن تنكحه، فقال: (والله ما يصلح أن تنكحي حتى تعتدي آخر الآجلين)، فمكثت قريباً من عشر ليال، ثم جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: (انكحي)⁽⁴⁷⁾.

4.3 هل أحكام الخلوة تنطبق على وسائل التواصل الاجتماعي؟

تتيح كثيرٌ من وسائل التواصل الاجتماعي خاصية المحادثات والمراسلات الخاصة بين المشتركين فيها، فهل المحادثة بين الرجل والمرأة على الخاص تعدّ من الخلوة المنهي عنها؟

لا بدّ من التنبيه على أمر غاية في الأهمية، وهو ألا يحصل بين الشاب والفتاة أو الرجل والمرأة عموماً: محادثات على الخاص في وسائل التواصل الاجتماعي؛ فإن هذه المحادثة كما ذكر بعض العلماء وإن لم تكن خلوة بالأجساد، إلا أنها وسيلة إليها وذريعة إلى الفساد ذاته الذي تجلبه الخلوة بالأجساد، وإن التصرف المباح إذا كان يؤدي إلى الفساد فإنه يصبح منهيًا عنه. قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: "الأدلة الشرعية والاستقراء التام أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية... وكذلك الأدلة الدالة على سد الذرائع كلها، فإن غالبها تدرع بفعل جائز، إلى عمل غير جائز، فالأصل على المشروعية، لكن مآله غير مشروع، والأدلة الدالة على التوسعة ورفع الحرج كلها؛ فإن غالبها سماح في عمل غير مشروع في الأصل لما يؤول إليه من الرفق المشروع، ولا معنى للإطنباب بذكرها لكثرتها واشتهارها. قال ابن العربي حين أخذ في تقرير هذه المسألة: (اختلف الناس بزعمهم فيها، وهي متفق عليها بين العلماء، فافهموها وادخروها)⁽⁴⁸⁾

وأمر آخر لا بدّ من التنبيه إليه؛ وهو أنه إذا دعت حاجة مشروع للتواصل على الخاص، وحصل حوار بين المرأة والرجل "الصديق" الذي تتابعه على مواقع التواصل فلا بدّ أن يكون الحوار قاصراً على الحاجة فقط، ولا يكون فيه خضوع ولينٌ

(46) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن رقم 5029

(47) رواه البخاري كتاب الطلاق رقم 5318

(48) الموافقات للشاطبي 5 / 179 - 182

في القول (والكتابة)، وأن يكون على العام وليس على الخاص كما ذكرت، وليحذر المسلم رجلاً كان أو امرأة من استئصال الشيطان له، وجره إلى المحرمات من حيث لا يشعر، وما حك في صدر المسلم من شيء تركه وابتعد عنه، وليذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(دَعُ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ)** ⁽⁴⁹⁾، وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **"دَعُوا الرَّبَّاءَ وَالرَّيَّةَ"** ⁽⁵⁰⁾.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: **{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}** [الأحزاب / 32]: **(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ)** أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون، فتلن في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع **(الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)** أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح.... فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول، واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلن لهم القول، ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: **{وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}** أي: غير غليظ، ولا جاف، كما أنه ليس بليّن خاضع ⁽⁵¹⁾.

ومن المفيد جداً أن أسوق ما قاله فضيلة الشيخ د. صلاح الصاوي حفظه الله في كتابه فتاوى المغتربين عند جوابه على سؤال: هل يجوز للمرأة المسلمة التواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي وإقامة علاقات برئية تبادلاً للمعارف والخبرات: ⁽⁵²⁾

فأجاب حفظه الله: "... لا تعرفُ الشريعة خصوصية علاقة بين رجل وامرأة خارج إطار الزوجية أو المحرمية، ولا يعني هذا حرمة التخاطب بين الجنسين، فلا حرج فيما كان من ذلك بالمعروف، وتجد دائماً في هذا الباب طرفين وواسطة بينهما، فمن الرجال من يبالغ في الغيرة حتى تبلغ به مبلغاً يحمله على منع زوجته من الرد على الهاتف، بل من الرد على من يطرق البيت في غيابها، وقد تمهد أن الله يكره الغيرة في غير ريبة ⁽⁵³⁾ ينصبها ليقع بها الأغرار من ضحاياها. والمعصوم من عصم الله عز وجل.

(49) رواه النسائي في السنن كتاب الأثرية رقم 5711

(50) ذكره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 94

(51) ينظر تفسير السعدي ص 663 - 664

(52) ينظر فتاوى المغتربين للشيخ الصاوي.

(53) أخرج ابن ماجه في كتاب «النكاح» باب «الغيرة» حديث (1996)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُجِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ؛ فَأَمَّا مَا يُجِبُّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّبَةِ، وَأَمَّا مَا يَكْرَهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِبَةٍ»، وذكره الألباني في «صحيح الجامع»

وبين هؤلاء وأولئك واسطةٌ بينهما تتباعد عن طرفي الغلو في هذا الباب، فلا تمنع التخاطب بالمعروف في حدود الضرورات والحاجات والمصالح المشروعة، كما قال تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب/ 32]. على أن يُقدَّر ما كان من ذلك بقدره، ولا تسترسل الاسترسال الذي يوقعها في المحذور والمحذور، ويخرج بها عن جادة العفاف والفضيلة.

فللمرأة أن تتواصل بالمعروف في إطار حاجياتها الحياتية، كتواصلها مع الطبيب إن لم تيسر طبيبةً لعرض شكايتها واستنصاحه في شأنها الصحي، ومع أستاذها لسؤاله عن مسألة علمية محضّة، ومع المفتي للاستفسار في أمر شرعيّ عرض لها، ومع محاميها لسؤاله في أمر قانوني عرض لها، ومع أصحاب الحِرَف والمهن كعمال الكهرباء والسباكة والنجارة ونحو ذلك لقضاء حاجتها، ومع الصيدليات لاستجلاب دوائها، ومع محلات الطعام والشراب والأغراض المنزلية لقضاء حوائجها، سواء أكان ذلك مباشرةً أم من خلال الهاتف، ونحو ذلك، وما شرع للضرورة أو الحاجة فإنه يقدر بقدرها، ويبقى ما وراءه على أصل المنع.

أما أن تُقيم مع أحدٍ من هؤلاء علاقةً خاصة تتجاوز التعامل المهني وما تقضي به الحاجات والضرورات، تفضي إليه بدقائقها، وتتبسط في الحديث معه كما يتبسط مع الأزواج والمحارم، بدعوى الصداقة البريئة والتواصل الاجتماعي البريء فكلُّ ذلك من نزغ الشيطان ووسوسته وتليسه.

والضابطُ في اعتبار المحادثة بالمعروف أن كلَّ ما يُستحيى منه ويُكره أن يُطالع عليه الناس فهو من المنكر الذي يجب تجنبه، وهذا الضابط بطبيعة الحال إنما هو بالنسبة للأسوياء من الناس، وذوي المروءة والصلاح منهم؛ لأن سواهم قد يجاهر بذلك، ويعتبره دلالةً على الفتوة والتحضر والاستنارة.

هذا، ولا يُنكر أن للمرأة حاجةً نفسيةً في أن تركز إلى رجل تُفضي إليه بمشاعرها، وتأنس برأيه فيما يعرض لها، وتستعين به على ما تواجهه من مشاق حياتها، ولكن لن يكون هذا الرجل إلا زوجاً أو محرماً، وإن ظنت خلاف ذلك فهي واهمة وحالة، قد خالفت الشرع والعقل جميعاً.

وكل ما ذكر عن المرأة في علاقتها بالرجل فإنه يقال مثله في علاقة الرجل بالمرأة، فهو مطالب بدوره بأن تكون علاقته بالنساء من غير المحارم في إطار الضرورات والحاجات، وأن يكون تواصله معهن بالمعروف من القول في غير خلوة ولا ريبة ولا تكلف في إلانة القول يخرج به عن القصد. والله تعالى أعلى وأعلم⁽⁵⁴⁾

4.4 شأن المسلم استثمار الوقت فيما ينفع ولا يضيعه في مواقع التواصل الاجتماعي من غير فائدة:

وليتنبه المسلم العاقل لعمره فإنه محدود، وسيلقى ربّه تعالى فيسأله عن شبابه فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وليتأمل العاقل كيف كان حال سلف هذه الأمة وعلماءها كيف نظروا للوقت وللعمر؛ فهذا ابن عقيل الحنبلي رحمه الله يقول عن نفسه: "إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة: أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطرت لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصني على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين"⁽⁵⁵⁾

وقال ابن القيم رحمه الله: "فوق الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشتة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مر السحاب، فما كان من وقت الله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة واللهو والأمانى الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة: فموت هذا خير من حياته"⁽⁵⁶⁾، وعلى المسلم استحضار قوله تعالى في جميع أحواله: {وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾} [العصر / 1-3]

4.5 التوسّع في الصداقات والمتابعات على وسائل التواصل الاجتماعي:

كما ذكرت سابقاً فإنه تجوز المشاركة في وسائل التواصل الاجتماعي ومتابعة أشخاص ينشرون العلم والفائدة سواء كانوا من الرجال أو النساء، إذا كانت الصداقة والمتابعة متقيدة بضوابط الشرع، فلا يُنشر إلا النافع المفيد، ويُتعد عن أسباب الفتنة، كالخضوع بالقول، والضحك والمزاح، والمحادثات الخاصة، والذي يُنصح به هنا أن المرأة حري بها أن تقتصر في علاقاتها وصداقاتها مع بنات جنسها، ومجال الكتابة الخاصة بالنساء مجال واسع يحتاج إلى اهتمام وإثراء، وفيه تأخذ المرأة

(54) ينظر فتاوى المغتربين للشيخ صلاح الصاوي.

(55) نقله عنه ابن الجوزي في كتابه "المنتظم" 214/9

(56) الجواب الكافي ص109

راحتها في الكلام والتعليق، وتسلم من الفتنة والوقوع في المحذور، ولا نقول إنه يجب الاقتصار عليه، بل هو خير للأخت المؤمنة وأسلم لها.

والشريعة جاءت بتحصيل المصالح ودرء المفاسد، وسدت الأبواب المفضية للفساد، وحذرت من اتباع خطوات الشيطان، ولربما شاركت المرأة الحديث مع الرجال، وهي في نفسها أبعد ما تكون عن الفتنة، فيجذبها الكلام والثناء، والإعجاب بمشاركاتها، فتقع الفتنة، ويمرض القلب، ويصعب الخلاص، ويقودها ذلك غالباً إلى المحادثات الخاصة التي تكون مدخلاً للشيطان، فكم ممن بدأ ذلك، وخاض الميدان نقي النفس، فانتهى به الحال إلى الغفلة والحسرة.

4.5.1 وقوع الفتنة من خلال التعليقات والإعجابات:

من الآثار السيئة المترتبة على الصداقات بين الجنسين على مواقع التواصل الاجتماعي هو الافتتان وتعلق القلب، والإنسان ضعيف، تؤثر فيه الكلمة أو الموقف، حتى ولو كان على سبيل الدعاء؛ كمثال: أحسنت، جزاك الله خيراً، بارك الله فيك... فإذا تكرر الثناء على شخص أثمر التعلق: خَدَعُوا بِقَوْلِهِمْ حَسَنَاءَ وَالْغَوَايَ يَغُرُّهُنَّ الثَّنَاءُ، وهذا ينطبق على الرجال والنساء!

والشيطان يلبس على الإنسان أمره، ويفتح له الذرائع التي تجربته على باب المعاصي، ويخلط له بين المشروع وغير المشروع، ويلبس له الحق بالباطل، ويدخل لكل امرئ من المدخل المناسب له، فليحذر المسلم والمسلمة من خطوات الشيطان، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور/ 21]

قال أحدهم⁽⁵⁷⁾:

تولّع بالعشق حتى عشق فلما استقلَّ به لم يُطِقْ / رأى جُتَّةَ ظنِّها موجةً فلما تمكن منها غرق

(57) الأبيات بلا نسبة في «ذم الهوى» (ص ٥٨٦)، و «ديوان الصبابة» (ص ٥٤).

ولما رأى أذمماً تَسْتَهْلُ وأبصر أحشاه تَحْتَرِّقُ / تَمْنَى الإِقَالَةَ مِنْ ذَنْبِهِ فلم يَسْتَطِعْهَا ولم يَسْتَفْقِ⁽⁵⁸⁾

الخلاصة: الكلام بين الرجل والمرأة الأجنبية جائز عند الحاجة وفق الضوابط الشرعية، ولا حرج أن يتابع الرجل أو المرأة "أصدقاء أو صديقات على مواقع التواصل الاجتماعي" إذا كان في المتابعة فوائد دينية أو علمية، والذي لا يستطيع أن يتحكم بنفسه في عالم مواقع التواصل الاجتماعي فعليه الامتناع وتجنب الصداقة مع الجنس الآخر درءاً للفتنة وسلامة للدين، وليتق ربّه، وليكن رقيقاً على نفسه، وحكماً عليها عند ربّه، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وليحذر أهواء النفس، ومكر الشيطان.

5. ما حكم اختراق البريد الإلكتروني ونشر الخصوصية؟ وماذا لو

كان الاختراق لأسباب أمنية؟

البريد الإلكتروني هو من خصوصيات الإنسان، فمنه يرسل ويستقبل رسائل تتعلق بالأسرة، والعمل، والحساب البنكي، وغير ذلك مما يتعلق بحياته الخاصة وعلاقاته الوظيفية والمهنية، ولقد حرّمت الشريعة الإسلامية المطهرة العدوان على خصوصيات الآخرين، وجاء الوعيد الشديد في المتعدي على حرّيات المسلمين، ومن ذلك : تحريم التجسس، وتحريم النظر من عقب الدار، وتحريم سماع مكالمات أو حديث الناس دون إذنه، والمتأمل يجد أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد تضافرت على حفظ حقوق الآخرين وعدم انتهاكها، بل قد تنادت معظم دول العالم في هذه الأيام إلى تجريم مخترقي البريد الإلكتروني والمعتدين على خصوصيات الناس، لما فيه من ضياع للحقوق واعتداء على الآخرين وأسرارهم. ولقد نهى الله سبحانه وتعالى عن التجسس، فقال سبحانه: {وَلَا تَجَسَّسُوا}، ونهت

(58) قصة من واقع وسائل التواصل الاجتماعي للعبة والعظة : كتبت إحدى الفتيات إلى صديقتها تقول: لن تصدقي ما حدث لي وما فعلته بملء إرادتي، كل ما أريده من هذه الدنيا المغفرة من الله عز وجل، ما من يوم يمر علي إلا وأبكي مما فعلته بنفسي وإليك قصتي: دعيت ذات يوم إحدى صديقاتي إلى بيتها، وكانت ممن تستخدم الانترنت وغرف الدردشة فيه ودرّيتني خلال شهرين على كل شيء فيه تقريباً! طلبتُ إلى زوجي أن يشترك بالانترنت بخط خاص بالبيت ففعل بعد أخذ وردّ. بدأت أقضي ساعات على الانترنت وبنيتُ علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف إن كانت لرجلٍ أو أنثى، كنت أحاور كل من يحاورني عبر التشات، حتى وأنا أعرف أن الذي يحاورني رجل، كنتُ أطلب المساعدة من بعض الذين يدعون المعرفة بالكمبيوتر والانترنت، تعلمت منهم الكثير إلا أن شخصاً واحداً هو الذي أقبلتُ عليه بشكل كبير؛ لما له من خبرة واسعة في مجال الانترنت، كنتُ أخاطبه دائماً وألجأ إليه براءة كبيرة في كثير من الأمور حتى أصبحت أحدثه عبر الشبكة بشكل يومي وأعجبتُ به ونقل إليّ إعجابه. وطلب إلي يوماً أن أسمع صوتي وأصّر على طلبه وهددني بتركّي وتجاهلي في التشات والإيميل إن لم أفعل، فقبلتُ، وشرطتُ أن تكون مكالماتنا واحدة فقبل، استخدمنا برنامجاً للمحادثة الصوتية، فأبدى زيادة الإعجاب، بعدها طلب رؤيتي، وافقت، والتقينا في مكان عام، وحديثه أنني متزوجة وعندي أولاد، وراح يصب عليّ من كلامه المعسول وعبارات الشوق إلى أن علقْتُ به، ومَرَّت الأيام، وطلب إلي أن أطلب الطلاق من زوجي ووعدني أنه سيتزوجني، وبدأت أقنع بفكرته، وفي يوم سافر زوجي برحلة عمل لمدة خمسة أيام، فتحت الانترنت لأحدثه كالعادة وأخبرته بسفر زوجي فطلب لقاؤي، وجاءني إلى المكان المحدد بسيارة فارهة، ركبتُ معه، ذهب بي بعيداً على خوفٍ مني، وصلنا إلى مكان لا أعرفه رأيت رجلاً يقف على بوابة بيت ومزرعة، سألته ما هذا؟ ففتح الباب الذي يقربني أخرجني الرجل الواقف بقوة ودفعني نحو البيت وصرختُ ولكن لا مجيب، ثم ضربني على رأسي ضربة أفقدتني وعي ثم فعلوا ما فعلوه. حين أفقتُ رأيت نفسي في منظر رديء طلبتُ إليهم أن يخلو سبيلي، ففعلوا وقالوا: سوف نذهب إلى البيت ولكن يجب ألا تخبري أحداً وإلا ستكونين فضيحة أهلك، وإذا قدّمت شكوى سيكون الانتقام من أولادك. هذه قصتي، أتمنى من الله أن يغفر لي أخطائي، وأنا الآن أطلب من زوجي الطلاق لا لأني لا أريده، ولكن لأني لا أستحقه بل أستحق الرجم، وفي المقابل أتمنى أن لا يحدث لأحدٍ ما حدث لي.

الشريعة الإسلامية عن الاطلاع على أسرار الناس وهتك حرمتهم، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كَدَّتْ أَنْ تَفْسِدَهُمْ)⁽⁵⁹⁾، واختراق البريد الإلكتروني هو خرق لخصوصية الآخرين وهتك لحرمتهم وتجسس على معلوماتهم وبياناتهم الخاصة التي يحتفظون بها ولا يريدون لأحد أن يطلع عليها، وهذا يجعل اختراق البريد الخاص بالشخص من المحرمات، فلا يحل لأحد فعل ذلك، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا تَحْسَبُوا)⁽⁶⁰⁾.

كما ينبغي التنبيه هنا إلى أنه لا يجوز سرقة البريد الإلكتروني من أحدٍ من الأصدقاء، لهواً، وعبثاً، ومزحاً، فعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا وَلَا جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْهِ)⁽⁶¹⁾.

قال شمس الحق العظيم آبادي رحمه الله: "قال الخطابي: معناه: أن يأخذه على وجه الهزل وسبيل المزاح، ثم يحبسه عنه، ولا يرده، فيصير ذلك جِدًّا. وجه النهي عن الأخذ جِدًّا: ظاهر؛ لأنه سرقة، وأما النهي عن الأخذ لعباً: فلأنه لا فائدة فيه، بل قد يكون سبباً لإدخال الغيظ، والأذى على صاحب المتاع"⁽⁶²⁾، فمن أعظم حَكَم هذا التحريم: هو عدم ترويع صاحب الشيء المأخوذ فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلِ مَعَهُ، فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَرَعَ، فَصَحَّكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: مَا يُصْحِكُكُمْ؟ فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَرَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا)⁽⁶³⁾.

والمطلوب ممن اخترق بريداً إلكترونياً أو سرق كلمة سرّ لصاحب حساب إلكتروني سواء كان للبريد الإلكتروني أو لأي برنامج آخر فعليه أن يتوب من فعلته، ويعزم على عدم العود، وأن يرجع البريد لصاحبه، كما في الحديث (فليردّها إليه)

(59) رواه أبو داود، كتاب الأدب رقم 4888

(60) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب رقم 2563

(61) رواه أبو داود، كتاب الأدب 5003

(62) عون المعبود شرح سنن أبي داود 236 / 13

(63) رواه أحمد رقم 23064 - واللفظ له - وأبو داود كتاب الأدب رقم 4351

الخلاصة: إن ديننا الإسلامي كفل حفظ الحقوق الشخصية للإنسان وحرّم الاعتداء عليها بغير حق، وهؤلاء الذين يعتدون على بيانات الآخرين ومعلوماتهم عبر الاختراق لرسائلهم البريدية الإلكترونية مرتكبون لذنوب وإثم كبيرين لمخالفتهم أمر الله تعالى، فعليهم التوبة إلى الله تعالى وإعادة الحسابات إلى أصحابها، والعزم على عدم العودة لمثل ذلك.

5.1 متى يجوز التجسس وما هي شروطه:

قد يكون التجسس مشروعاً في أحوال معينة، فقد يوجد من الناس من هو مفسد مجرم، يُعرف عنه الفحش والسوء، يجاهر به، ولا يراعي ذوقاً ولا حياءً ولا ذمةً، كالتجسس على المجرمين واللصوص والمفسدين، فقد لا يعرفون إلا بطريق التجسس، وقد أجاز الفقهاء التجسس على اللصوص وقطاع الطريق، وطلبهم بطريق التجسس عليهم وتتبع أخبارهم ومعرفة خططهم وأماكن وجودهم، لقطع شرهم ودفع ضررهم عن المسلمين، وكذلك أجازوا التجسس في حال الحرب بين المسلمين وعدوهم لمعرفة أخبار جيش أعدائهم وعددهم وعتادهم، وهذا موافق لمقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت بحفظ الدين والعرض والمال والنفس والعقل⁽⁶⁴⁾.

فإذا علم الإنسان أو غلب على ظنه أن ثم جريمة يمكن أن تقع، وإذا تأخر فسوف يفوت استدراكها، جاز أن يتجسس ليتحقق من وجودها وإنكارها؛ قال الماوردي: "ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات، فإن غلب على الظن استسار قوم بها لأمانة وآثار ظهرت: فذلك ضربان:

أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله، أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس، ويقدم على الكشف والبحث، حذراً من فوات ما لا يستدرك، وكذا لو عرف ذلك غير المحتسب من المتطوعة: جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار.

الضرب الثاني: ما قصر عن هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه، ولا كشف الأستار عنه، فإن سمع أصوات الملاحية المنكرة من دار أنكرها خارج الدار: لم يهجم عليها بالدخول، لأن المنكر ظاهر، وليس عليه أن يكشف عن الباطن⁽⁶⁵⁾.

(64) ينظر تبصرة الحكام لابن فرحون 171/2، وينظر: وسائل الإرهاب الإلكتروني، حكمها في الإسلام، وطرق مكافحتها ص 10 - 12

(65) شرح صحيح مسلم " للنووي. (26 / 2)

ومن هذا يُعلم أنه لا يجوز التجسس لمجرد إثبات تهمة على إنسان، إذا كان متستراً بفسقه في بيته، وخاصة نفسه، لكن إن كان في التجسس منع من وقوع المنكر، كمن يتجسس ليمنع امرأة دخلت في مكان ربية، من وقوع الزنا والفجور بها، فإن ذلك مشروع، ولو تحقق بذلك أن يثبت عليها التهمة، لكن لا يكون مجرد قصده فضحها بما فعلت أو إثبات التهمة عليها.

5.1.1 شروط التجسس الإلكتروني:

إذا جاز الاستيلاء على البريد الإلكتروني لمن عُرف عنه التعدي على الناس وعلى خصوصياتهم وابتزازهم والتعدي عليهم وظلمهم بقصد تتبع خططهم ومراقبة تصرفاتهم وأفعالهم، فهذا جائز بل ربما يكون واجباً على من قدر عليه لحفظ وسلامة المجتمع من شرور هؤلاء، ولكن هناك شروط لذلك كما ذكر بعض العلماء:

- أن يُجزم أو يغلب على الظن عدوانه وتعيده وفساده وإجرامه.
- عدم الاحتفاظ بخصوصيات الناس، وعدم تتبع رسائل ورسائل صاحب البريد الشخصية ؛ لعدم دخوله في استثناء "الاطلاع" أو التعدي على حقوق الآخرين وخصوصياتهم.
- أن يُجزم أو يغلب على الظن نفع هذه الطريقة؛ لأن الغالب على أهل الفساد الاحتفاظ برسائل وصور وملفات من يتعدون عليهم على أجهزتهم وليس في بريدهم.
- أن تكون المراقبة والتتبع من مجموعة أو هيئة حسية، أو لجنة مكلفة بذلك، ولا ينفرد بها شخص وحده خشية وقوع الفرد بمفسدة الافتتان بما يجده في هذه الرسائل أو الإيميلات الخاصة، ثم يخشى عليه أيضاً أن يتحول ذلك عنده إلى بلاء في نفسه، يفتح عليه عادة سيئة وذنباً وخطيئة مستحكمة وهي اعتياد محبة الاطلاع على العورات وهتك الأستار.

6. حكم مشاهدة مواد مسجلة فيها فضائح لآخرين ونشرها على وسائل

التواصل؟

من الآداب الإسلامية الرفيعة التي رسخها الإسلام احترام الحياة الخاصة للآخرين، حيث وضع سياجاً منيعاً من القيم والتعاليم والأحكام الصارمة التي تحقق السرية والخصوصية، وجرم الاطلاع عليها أو كشفها تحت أية دعوى أو مبرر مهما كان، هذا الأدب الراقي يؤكد حرص الإسلام على تنظيم العلاقة بين الناس ليعيشوا حياتهم بحرية بعيداً عن عيون المتلصصين، وسفاهات المتربصين الذين يحبون الفضائح ويشيعون الخوف والقلق والاضطراب بين الناس، وإن الالتزام بهذا الأدب الرفيع يجعل الإنسان يعيش مطمئن القلب راضي النفس، والطريق إلى تحقيق هذا الهدف هو حسن علاقته

بالآخرين، والحفاظ على مشاعرهم، واحترام خصوصياتهم، وعدم التلصص عليهم، وتجنب البحث عن مساوئهم وتجاوزاتهم أو نشرها وإشاعتها بين الناس.

وإن احترام الحياة الخاصة للآخرين في منظومة الإسلام الأخلاقية له صور كثيرة ومجالات متعددة؛ حيث تبدأ بأدب رفيع هو "أدب الاستئذان واحترام حرمة البيوت وخصوصياتها"، وقد غرس فينا القرآن الكريم والسنة المطهرة هذا الأدب من خلال العديد من الآيات المحكمة والأحاديث الشريفة كما سيمرّ والتي توفر لكل من يلتزم بها حياة طيبة كريمة، وعلاقات محترمة من شأنها توثيق العلاقات بين الناس.

ولقد جاء في كتب التفسير أن امرأة من الأنصار أتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: «يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال.. فكيف أصنع؟» فنزل جبريل بوحى إلهي يحمل أدباً رفيعاً ينظم دخول البيوت.. يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [النور/ 27-29].

فاحترام خصوصيات الآخرين واجب شرعي وأخلاقي واجتماعي، ومن مظاهر احترام خصوصية الآخرين: عدم نشر المقاطع المصورة أو المسموعة عن تفاصيل حياتهم وما يصنعونه سواء كان هذا الصنيع مباحاً أو لا، فالشرع الشريف نهى عن نشر وإشاعة ما يُعيب به المرء؛ لأنّ فيه تتبعاً للعورات، والأسرار من الأمانات، وهي كذلك من العهود التي يجب الحفاظ عليها، والأسرار تتفاوت فيما بينها من حيث التغليظ في إفشائها إذ منها ما يكون ضرره عاما وعظيما كإفشاء سر إلى الأعداء يكون به هزيمة أو فوات نصر عليهم وهو ما يصطلح عليه حديثا باسم الخيانة العظمى ومنها ما هو دون ذلك من مثل ما يكون ضرره خاصاً، إلا أن كلّها تشترك في كونها خيانة للأمانة وإخلاقاً للعهد، قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء/ 34]، وقال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء/ 58]، وإذا كان الحفاظ على السر واجبا فإن إفشاء السر حرام، بل إن الإسلام نهى عن إشاعة الفاحشة في

المجتمع وجعلها جريمة تستوجب العقاب، فقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [النور: 19].

وقد أسر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة وحفصة بحديث واتمنهما عليه، فأظهرتا سره صلى الله عليه وسلم، فعاتبهما الله تعالى على ذلك، قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [التحریم/ 3]، ثم قال تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحریم / 4]، فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه شهرا من أجل الحديث الذي أفشته حفصة لعائشة⁽⁶⁶⁾، قال ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث (وَفِيهِ الْمُعَاقَبَةُ عَلَى إِفْشَاءِ السَّرِّ بِمَا يَلِيْقُ بِمَنْ أَفْشَاهُ).

وفي السنة النبوية نجد التهيب من الاطلاع على أسرار الغير وكذلك التهيب من نشر ما لا ينبغي نشره من الأسرار؛ فمن ذلك: التعليل على من أراد الاطلاع على عورات الآخرين: ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَوْ أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتُهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَّاتَ عَيْنَهُ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ)⁽⁶⁷⁾

قال ابن حجر في شرح الحديث: (وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظٍ: (مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقُتُوا عَيْنَهُ) وَوَرَدَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَصْرَحُ مِنْ هَذَا عِنْدَ أَحْمَدَ وَابْنِ أَبِي عَاصِمٍ وَالنَّسَائِيِّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ ... بِلَفْظٍ: (مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَفَقَّتُوا عَيْنَهُ فَلَا دِيَّةَ وَلَا قِصَاصَ) وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ: (فَهُوَ هَدَرٌ)⁽⁶⁸⁾، ومثله أيضا: الوعيد في حق من تسمع لأسرار غيره، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ... (وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفْرُونَ مِنْهُ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)⁽⁶⁹⁾ والآنك هو الرصاص المذاب.

ومن التهيب من نشر ما لا يحل نشره ما جاء في ذم من نشر سر الزوجية، وجعله من أشر الناس عند الله منزلة، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مَنْ أَسَرَّ النَّاسَ عِنْدَ اللَّهِ مَنَزَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُنْضِي إِلَى

(66) رواه البخاري رقم 5191

(67) رواه البخاري رقم 6902، ومسلم رقم 2158

(68) رواه أحمد وابن أبي عاصم والنسائي وصححه ابن حبان والبيهقي ...

(69) رواه البخاري رقم 7042

أَمْرَاتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا⁽⁷⁰⁾، وفي رواية أخرى عند مسلم: (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى أَمْرَاتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)⁽⁷¹⁾ ومعنى "من أعظم الأمانة" أي: من أعظم خيانة الأمانة.

ومن وصايا العرب للعروس: ولا تفشي له سرّاً، فإنك لو أفشيت سرّه، أو غرت صدره.

وأسرار البيوت لا ينبغي أن تُفشي، وقد كان العقلاء وأهل الدين يوصون صاحب السرّ بعدم إفشائه، فعن ثابت عن أنس قال: أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أَلْعَبُ مع الغلمان، قال: فسَلِّمَ علينا، فبعثني إلى حاجة فأبطأتُ على أمي، فلَمَّا جِئْتُ قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً. قال أنس: والله لو حدثتُ به أحداً لحدثتُك يا

ثابت⁽⁷²⁾

وإفشاء الأسرار من علامات النفاق، إذ إنه يدخل في خيانة الأمانة: عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا أُمِّنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)⁽⁷³⁾، وليس من شرط الأمانة أن يخبر المتكلم السامع بأن هذا الكلام سرٌّ فلا تخبر به أحداً، بل يكفي أن تدلّ القرينة على ذلك كما لو أخذه بعيداً عن الناس ليحدثه، أو جعل يحدثه وهو يتلفّت خوفاً من أن يسمع الناس حديثه، وقد روى الترمذي عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ)⁽⁷⁴⁾، قال في "تحفة الأحوذى": (ثُمَّ التَفَتَ) أَي يَمِينًا وَشِمَالًا احْتِيَاظًا (فِيهِ أَمَانَةٌ) أَي عِنْدَ مَنْ حَدَّثَهُ أَي حُكْمُهُ حُكْمُ الْأَمَانَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ كَتْمُهُ. قَالَ ابْنُ رَسْلَانَ: "لَأَنَّ التَّفَاتَةَ إِعْلَامٌ لِمَنْ يُحَدِّثُهُ أَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَسْمَعَ حَدِيثَهُ أَحَدٌ وَأَنَّهُ قَدْ خَصَّهُ سِرَّهُ، فَكَانَ الِاتِّفَاتُ قَائِلًا مَقَامَ أَكْتُمْ هَذَا عَنِّي أَي خُذْهُ عَنِّي وَاكْتُمْهُ وَهُوَ عِنْدَكَ أَمَانَةٌ"⁽⁷⁵⁾.

(70) رواه مسلم، كتاب النكاح رقم 1437

(71) رواه مسلم، كتاب النكاح رقم 1437

(72) رواه مسلم رقم: 2482

(73) رواه البخاري (34) ومسلم. (58)

(74) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 1959

(75) عون المعبود 13148/7

6.1 حماية خصوصيات المريض

وإن من أبرز مظاهر احترام خصوصيات الإنسان في ظل منظومة الإسلام الأخلاقية احترام خصوصيات المريض، سواء من جانب الأطباء الذين يعالجونه، أو من جانب الذين يقومون برعايته في المستشفى ويحتفظون ببياناته، أو من جانب من يترددون عليه لزيارته والاطمئنان إليه، فالطبيب في ظل آداب الإسلام ملزم بالحفاظ على أسرار مريضه، ولا يبوح بها لأي شخص أو جهة إلا في حالات خاصة، فلا يليق تصويره على حالة لا يرغبها، ثم نشر تلك الصور والفيديوهات، أو ربما نشر معلومات عن مرضه وحالته بين الناس فهذا مما لا يجوز.

6.2 من صور الإفساد الإلكتروني تصوير المحادثات بطريقة "سكرين شوت"

Screen Shot

إن تقنية سكرين شوت وغيرها من التقنيات، تعتبر نعمة من نعم الله على الإنسانية، ولذلك ينبغي أن نحسن استخدامها؛ لأن كل وسيلة ممكن أن تكون إيجابية أو سلبية، شأنها شأن الكثير من الوسائل في حياتنا. ولا أبالغ هنا إذا قلت إن تصوير المحادثات بطريقة "سكرين شوت" هي أحد الأسباب الحديثة للإيقاع بين الناس، ونشوب الخلافات بينهم، فهي صورة مرفوضة جملة وتفصيلاً؛ لأنها صورة حديثة من صور الإفساد الإلكتروني، ونميمة إلكترونية شأنها شأن التّمّام الذي ينقل الكلام من شخص لشخص آخر ليفسد بينهما، ولا يخفى تحذير القرآن الكريم من هذا التصرف وما يشابهه، سواء كان بالطرق القديمة أو الحديثة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا} [الحجرات: 12].

6.2.1 تأثير تصوير المحادثات ونقلها

البعض ممن يصوّر المحادثات الخاصة أو العامة التي تكون على مجموعة وسائل التواصل الاجتماعي لا يدرك أن المجالس بالأمانة، فيقوم بإرسال تلك المحادثات إلى آخرين، مما يسبب كثيراً من العداوات والحقد والكراهية والشحناء بين الناس، وتثير الكثير من الخلافات والفرقة، والله سبحانه وتعالى يقول: {وأصلحوا} وليس: أفسدوا، والمطلوب من المسلم إن لم يصلح، أن لا يكون سبباً ووسيلة لإفساد ذات البين.

6.2.2 ما المطلوب من مستقبل المحادثات المصورة "لقطة الشاشة" Screen Shot

مما يجب على مُستقبل "لقطة الشاشة Screen Shot" والذي وصلت إليه المحادثة، أن يكون حذراً، وأن يحمل الكلام على أحسن المحامل ويحسن الظن بالآخرين؛ لأن الكلام المنسوخ الذي وصله، قد يكون مجتزأً وأخذ جزءاً منه، ولو كانت المحادثة التي وصلته كاملة لاختلف معناها، وعلى المسلم أن يتنبه إلى أنه ليس كل حديث يصل إليه يكون بالضرورة هو المقصود به، فربما الكلام الذي وصل صحيح ولكن ليس بحقه، بل المقصود به شخص أو أشخاص آخرون، والجدير ذكره هنا أنه ينبغي عدم إعادة توجيه تلك الرسائل وإعادة إرسالها إلى الآخرين.

6.3 من هو المفسد الأشد في وسائل التواصل الاجتماعي؟

الشخص الأول الذي كتب الكلام ربما يكون قد اغتاب، ولكن الشخص الثاني الذي صور المحادثة وأرسلها، تسبب في وقعة كبيرة ومفسدة عظيمة، وقطيعة بين الناس، والمفسد الأشد ليس من تحدث أولاً، بل من نقل الكلام وأفشى أسرار المجالس.

وإذا علم الشخص الذي تحدث بالكلام السيء -أو المسيء- أن كلامه قد نُقل؟ وإذا علم المتحدث بحقه عما قيل عنه، فستكون هناك سلسلة من القيل والقال وسوء الظن الذي يفسد العلاقة بين الناس والأصدقاء والأرحام، وعلى من اعتاد فعل هذا الأمر أن يتوب إلى الله تعالى ويتوقف عن تصوير المحادثات ومشاركتها مع الآخرين، فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

6.3.1 تصوير الآخرين صوراً أو فيديو أو تسجيلات صوتية بغير إذن:

من الآداب المرعية في المجالس أن يستأذن المصور جلساءه أو الحاضرين بالتصوير، فيكون عندهم المعرفة والاستعداد لذلك، فإن كان هناك شخص لا يرغب بالتصوير أو التسجيل الصوتي وأخبر بعدم رغبته بذلك فعلى جلسيه أن يراعي ذلك ويحترم خصوصية صاحبه، وإذا علم أن شخصاً لا يمانع من تصويره، أو تسجيل صوته فلا حرج عندئذٍ من ذلك، ولكن ما يجب معرفته هنا أنه لا يجوز تصوير شخص بغير إذنٍ منه، ويشتد النكير على من صور ثم نشر تلك الصور أو الفيديوهات، والأعظم نكيراً أن ينشر صوراً أو فيديوهات لأشخاص لم يكونوا مستعدين للتصوير، أو كانوا على هيئة تدعو الناظر إلى السخرية أو الضحك، فهذا لا يجوز فعله، ولا يجوز تداول أو إعادة نشر هكذا صور وفيديوهات ولا يجوز مشاهدتها، وقد مر معنا عدة آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة توضح هذا المعنى، ولعل آية الحجرات أوضح

دليل في هذا الباب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَبِ بِئْسَ الْأَلْسَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات / 11]

6.4 نصيحة لأهل مواقع التواصل الاجتماعي:

الفراغ نعمة ينبغي استغلالها فيما ينفع كحفظ كتاب الله تعالى، وتحصيل العلم النافع، وأداء الطاعات التي تقرب إلى الله من تلاوة القرآن الكريم، وذكر، وقيام ليل، وقراءة كتاب، أو عمل نافع، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)⁽⁷⁶⁾، وعن أبي بَرزَةَ السَّلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟)⁽⁷⁷⁾

إن ما يحدث هذه الأيام من اشتراك الكثير من الناس في مواقع التواصل الاجتماعي، ومتابعة شؤون بعضهم البعض، وترصد أخبارهم الخاصة والعامة، وتصيّد الأخطاء والعثرات إن ذلك تضييع للأوقات، وإنما يدلّ على فراغ وبطالة، وضعف همة في تحصيل الخيرات واستثمار الأوقات، وهذا باب من أبواب الفتنة، ومدخل من مداخل الشيطان، ليفسد على المرء دينه وأخلاقه، وإن خطوات الشيطان تجرّ الإنسان إلى شباهة خطوة خطوة، فيبدأ بخطوة أولى وهي مجرد صداقة فيسبوكية مثلاً، ثم بعد ذلك اهتمام ومتابعة، وبعد غد مراسلات خاصة، ثم يقع المحذور والمحذور والعياذ بالله تعالى. لذلك جاء الشرع بغلاق أبواب الشر والفساد والفتنة، وسد الطرق المؤدية إليها، وهو ما يسميه العلماء بـ "سد الذرائع" أي سد الطرق المؤدية إلى المفسد، حتى ولو كانت مباحة، غير أن ذلك المباح سيجرّ إلى حرام، فيمنع ذلك المباح من أصله، والعامل الذي اتعظ بغيره وعمل لما بعد الموت، والمؤمن يعلم أن هذه الدنيا دار امتحان، وفيها يتنافس المتنافسون، فالسعيد من عمر أوقاته بالطاعات، واجتهد في ترك فضول المباحات، فضلاً عن المحرمات، ليسعد وينال المقامات العالية، والمغبون من انشغل بغيره، وأضاع زمانه، وقصر في الطاعة، وركن إلى البطالة، وتأخر في السباق، وضعف عن المنافسة.

(76) رواه البخاري، كتاب الرقاق 6412

(77) رواه الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه 2417

قال ابن القيم رحمه الله: "وقال لي يوماً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شيء من المباح: هذا ينافي المراتب العالية، وإن لم يكن تركه شرطاً في النجاة. أو نحو هذا من الكلام. فالعارف يترك كثيراً من المباح إبقاءً على صيانتها. ولا سيما إذا كان ذلك المباح برزخاً بين الحلال والحرام، فإن بينهما برزخاً - كما تقدم - فتركه لصاحب هذه الدرجة كالمعتين الذي لا بد منه لمنافاته لدرجته⁽⁷⁸⁾.

وعلى المشتركين أن يراقبوا الله تعالى فيما يتابعونه وينشرونه ويكتبونه على وسائل التواصل الاجتماعي وليتذكروا قول الله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد / 4]، وقول الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} • إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ • مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق / 16-18]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين